éالجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي

جامعـة أبو بكـر بلقايـد – تلمسـان–

كليـة العلـوم الإنسانيـة و العلـوم الاجتماعيـة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في إطار المدرسة الوطنية الدكتورالية

في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية

الظاهرة السلفية عند النساء في تلمسان دراسة أنثروبولوجية

إعداد الطالبة:

جديد فاطمة الزهراء

تحت إشراف الأستاذ:

د. بلخضر مزوار

لجنة المناقشة المقترحة

أ. د. سعيدي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
د. مزوار بلخضر	أستاذ محاضر(أ)	جامعة تلمسان	مشرفا
د.مقنونيف شعيب	أستاذ محاضر(أ)	جامعة تلمسان	عضوا
د.الشيخ خليفي	أستاذ محاضر(ب)	جامعة تلمسان	عضوا

السنة الجامعية: 2011-2012

كلمة شكر

ولأن الشكر يجعل من هذا العمل إنتاجا جماعيا و ليس فرديا يسرني أن أتوجه بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل وعلى رأسهم أستاذي المشرف الدكتور مزوار بلخضر الذي كان مصباحا أنار لي دروب البحث العلمي إذا وصفنا هذا العمل بالعلمي فالفضل يعود إليه.

كما أتوجه بشكري إلى أستاذي البروفيسور منسي المدرسة الوطنية الدوكتورالية السيد محمد سعيدي على صبره، و نصحه الدائم لنا، وإلى أعضاء اللجنة المناقشين.

دون أن أنسى طبعا الصديقات والزميلات وعائلتي الكريمة الذين لم يبخلوا بالملاحظات والتشجيعات التي قدموها لي.

مقدمة

أغلبية الجزائريين هم مسلمون سنيون مالكيون، أو أقلية إباضية تقطن وادي ميزاب، وهذا السائد مند عصور، لكن بالسنوات الأخيرة أصبحنا نلاحظ جماعات دينية متميزة عما هو سائد وغالب بالمجتمع الجزائري المسلم، و صفة المسلم هي إحدى الهويات التي كونت المجتمع وإن كان أفراده غير متدينين فمازال الدين الإسلامي يؤدي وظائفه المتعددة.

من بين هذه الجماعات الدينية، ما يعرف بالسلفيين، أو السلفية الوهابية، التي تستمد شرعيتها من الدين الإسلامي، و تمارس الدعوة في مجتمع يعتبر مسلما في الأساس، و بالتالي هي ليست ديانة أو ملة جديدة خارجة عن أصول الإسلام أو قواعده، هذا ما جعلنا نطرح عدة تساؤلات من بينها لماذا يصبح فرد ما منتميا لهذه الجماعة ؟ أي لماذا يصبح سلفيا ؟ لماذا يرفضون تدين الآباء و الأجداد ؟ لماذا يرفضون الإسلام الموروث ؟ سنيا مالكيا أو إباضيا ؟

هذه الأسئلة وغيرها أسالت حبر الكثير من المفكرين و الباحثين العرب و الغربيين فتعددت أطروحاتهم واختلفت معالجاتهم سعيا لتفسير الظاهرة، من علمية موضوعية أو كتابات إيديولوجية ذاتية تنبع من نظرة اثنية مركزية.

وقد أردنا فهم هذه الظاهرة ليس من منظور عقائدي يحكم على الحق و الباطل أو يبحث في النصوص، إنما أردنا فهمها من خلال البحث في التصورات و الممارسات التي يتبناها الأفراد انطلاقا من واقعهم المحيط بهم، وقد ركزنا في دراستنا هذه على فئة النساء، ذلك أن المجتمعات الإنسانية لا يمكن لها أن تفهم ذاتها دون التعرف على كينونة المرأة فيها والحال نفسها بالنسبة لكل الظواهر الاجتماعية الموجودة بالمجتمع من بينها الظاهرة الدينية، فكيف نعطي تفسيرات و نبني أطروحات بعيدا عن الفعل النسوي الذي بدوره يعتبر مشكلا للظاهرة، وما زاد اهتمامنا بتخصيص البحث لشريحة النساء، هي تلك

الخطابات الكثيرة والمنتجة من طرف منظري التيار السلفي، سواء على شكل رسائل وكتب أو أشرطة، أو وسائل إعلام، الموجهة للمرأة.

و قد تم عرض البحث في ثلاث فصول:

- فصل أول عني بالدراسة النظرية و خطواتنا المنهجية التي اخترناها و التي بدورها كانت مسيرة للبحث.
- فصل ثان قدمنا فيه مقاربة تخص الظاهرة الدينية و كيف تمت دراستها في المدرسة الدوركايمية و الفيبيرية و الماركسية، ثم انتقلنا إلى الإسلام باعتباره دينا ومشكلا للهويات و ا لايديولوجيات من بينها السلفية، كما تطرقنا إلى نظرة شاملة عن وضعية المرأة بمجتمعاتنا.
- أما الفصل الثالث فعرضنا فيه دراستنا الميدانية حيث حاولنا الربط بين ما هو ثقافي،طبقي و اجتماعي باختيار التمسلف.
- أما الخاتمة فتضمنت نتائج الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

- اه تمامنا بالمواضيع التي تندرج ضمن سياق الدين والمجتمع من جهة، و كذلك مواضيع المرأة بشكل عام، من جهة أخرى.
- صعود و تنامي العديد من التيارات و الحركات الدينية الجديدة، سواء كانت منتمية إلى الإسلام و بعض مذاهبه أو حركات دينية تنتمي إلى ديانات أخرى.
- ففي السنوات الأخيرة أصبحنا نلاحظ جماعة متميزة عن الآخرين بمجرد النظر إليها لأول وهلة، وذلك لما يميزها عن أفراد المجتمع، خاصة اللباس، و الذي يسمى القميص بالنسبة للرجال، أما بالنسبة للنساء فيدعى بالجلباب، و المنتمون لهذه الجماعة يطلق عليهم اسم السلفيون.
- قلة الدراسات التي تتناول موضوع تدين النساء في مجتمعنا، فمعظم هذه الدراسات ركزت على الحركات الإسلامية السياسية بشكل شمولي وهي في رأي العديد من الباحثين أنها ليست إلا آراء و مقالات صحفية و سطحية. كما أن معظمها تم بمعزل عن دراسة النساء كفاعلات
- ضف إلى ذلك مضمون الخطاب الإسلامي السلفي (الوهابي) الذي تتخذنه النسوة مرجعية هذا الخطاب و الذي يجعل من موضوع المرأة محورا له، فتعدد الكتابات و الرسائل الموجهة للمرأة تشكل نسبة كبيرة من اهتماماته، ... و بما أن محور هذه الخطابات هو المرأة بنسبة كبيرة جعلنا نفكر لما لا تكون هناك دراسة عن هؤلاء النساء الخاضعات لهذا الخطاب.
- و لا يمكن أن ننسى أن احتكاكنا ببعض النساء المدعوات بالسلفيات أمر كان له دافع لاختيار هذا الموضوع، فالدخول في جماعة دينية أمر صعب للغاية، لكن معرفتنا بنساء قبل تمسلفهن كان أمرا مساعدا للغاية و محفزا لاختيار هذا الموضوع.

- كوننا امرأة كذلك هو من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع. فالدخول في مجال خاص حددته ثقافة و سلوكات معينة صعب بالنسبة للباحثين الرجال.

الهدف من الدراسة:

- محاولة فهم الظاهرة أكثر بإعطاء الاهتمام لكل شرائح المجتمع و الذين يشكلون الظاهرة السلفية من بينهم النساء.
- إنجاز عمل يهدف إلى إثراء رصيد البحث العلمي و يكون انطلاقة لدراسات مستقبلية.

صعوبات البحث:

- لكل دراسة أو بحث، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي تدرس الأفراد و الجماعات، صعوبات تواجه الباحثين في هذا المجال باعتبار المبحوثين أفرادا لهم مشاعر وعواطف متغيرة حتى وإن عقلنت، هذا ما طرح لنا حواجز وعراقيل أدت بنا أحيانا إلى إعاقة البحث .
- كوني أيضا باحثة تختلف عنهن، خاصة من ناحية الشكل (اللباس) صعب المهمة وهذا ما أدى بنا إلى عدم التغلغل أكثر في الجماعة فلم يكن باستطاعتنا حضور كل الحلقات الدينية خاصة تلك التي تتم داخل المنازل.
- صعوبة الدخول في حوار مع العديد من النساء المتمسلفات نظرا لطبيعتهن المنعزلة عن باقي النساء وهذا ما جعلنا نخفي هويتنا البحثية و الاعتماد على مخبرة ساعدتنا على حضور وزيارة بعض منازل المبحوثات و كذا توفير كم لا بأس به من المعلومات و المعطيات.

الفصل الأول

المقاربة النظرية والمنهجية

الدراسات السابقة :

1- دراسة عبد الحكيم أبو اللوز:

تتمثل الدراسة الأولى و هي عبارة عن أطروحة دكتوراه قام بها الباحث المغربي عبد الحكيم أبو اللوز، وبإشراف من الأستاذ محمد الطوزي، متناولا فيها الحركات السلفية في المغرب من منظور سوسيو أنتروبولوجي من 1971الى 2004 من خلال التياران الأكثر انتشارا بالمغرب هما السلفية التقليدية الذي يركز على قضية تصحيح الاعتقاد ومسائل العبادات والسلفية العلمية الذي يعتمد على إحياء التراث و تحقيقه وتكوين نخبة علمية سلفية، و قد انطلق من إشكالية مفادها أن هناك ممارسات دينية بالمغرب تظهر تعددا سوسيولوجيا يتعلق بأشكال التدين الموجودة في المجتمع ، فهناك أنماط تدينية متعددة غير قابلة لأن تحصر في قالب مذهبي واحد ، ولكن وسط هذا الواقع وجدت حركة أدت إلى إضعاف أنماط التدين التقليدية ، وبروز تصورات دينية و رموزا غير مرتبطة بالبيئة المحلية ، لكنهها مسايرة للواقع الاجتماعي المغربي من حيث اتجاه حركة التدين إلى حياة دينية مؤسسة على الفردية و تحقيق الذات . فإلى أي حد تترجم الحركات السلفية التي كانت محل الدر اسة هذه الحركية التي يعرفها حقل التدين بالمغرب ؟ ليجيب عن ذلك في الفرضية التالية وهي أن بروز السلفية لا يعتبر مؤشرا على أي انشطار عقدي أو مذهبي في المغرب على نحو ما تصوره السجالية المجتمعية بقدر ما هي تعبير عن مظاهر التحول السوسيولوجي الذي تشهده أنماط التدين في المغرب، فقد أصبحت النماذج الكلاسيكية للتدين في المجتمع المغربي ضعيفة و لم تعد تمارس دورا معياريا ...و تتجه إلى فقدان تأثيرها و من ثم تشكل السلفية محاولة لسد هذا الفراغ و وسيلة لكي يسترجع الدين دوره المعياري، فبواسطة هذه المذهبية ، وعبر خطابها و أنماط فعلها و تنظيمها،

يجد الدين فرصة للمقاومة و التحول و الاستيلاء على مواقع و مجالات جديدة بما فيها مواقع التدين التقليدية.

وقد خلصت الدراسة إلى صياغة مفهوم السلفية الذي يدل على " نزعة احتجاجية على التطورات التي طرأت على المستوى العقائدي أي تقنين الدين من خلال الترشيد الأخلاقي للعقائد الممارسة و على المستوى التعبدي أي عن طريق توحيد نماذجها.. حتى يكون بإمكانها مواجهة البدع المستحدثة..." أما سوسيولوجيا فتتمثل هذه النزعة في حركات ذات طابع طائفي ترفض من خلال استقلاليتها المؤسسات الاجتماعية والسياسية[1].

2- *دراسة سمير أمغار*:

دراسات سمير أمغار عن السلفية بأوروبا من بينها التي قام بها سنة 2006 حيث أوضح أن هناك أنماط تدينية جديدة ترفض النموذج التديني التقليدي المميز لجيل الآباء. كان من أولها جماعة الإخوان و جماعة التبليغ بالإضافة إلى جماعة كانت تعتبر أقلية مهمشة لكن مع بداية 2000 بدأت تظهر كمنافس لتيارات الأسلمة السابقة.

و يرى الباحث أن هناك ثلاث تيارات للسلفية بأوروبا:

1. السلفية الثورية الجهادية كانت تابعة في الأساس لتنظيم الإخوان المسلمين يعترض على أنظمة الحكم القائمة في الغرب عن طريق المقاومة – الجهاد – لاسترجاع حكم الله و إقامة الدولة الإسلامية.
2. السلفية التي تهتم بالنشاط السياسي كوسيلة للتعبئة من خلال الجمعيات والمظاهرات ويعتبر هذا التيار أكثر تجذرا في أوروبا

[1]- عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب، (رسالة دكتوراه)إشراف محمد الطوزي ، 2007-2008 ، المغرب.

3. السلفية الهادئة Quiétiste:معارضون ومعترضون على النشاط الثوري والسياسي ويعتبر الألباني وابن باز من أكبر وجوهها حيث ترى أن حل مشاكل المسلمين يكون من خلال التصفية و التربية بالعودة إلى السلف الصالح.

وفي دراسة أخرى لنفس الباحث عن النقاب و السلفية بفرنسا، يحاول معرفة أصول ظاهرة الغطاء الكلي ، تطورها و نتائجها على صعيد الحياة الاجتماعية فبالرغم من أنها ظاهرة هامشية إلا أنها في ارتفاع بالسنوات الأخيرة، حيث يلاحظ انتشارها بين النساء الشابات من أصول مغاربية (جزائرية ، مغربية و تونسية) و افريقية و كذا من مقتنعات فرنسيات هذا النوع من الغطاء مرتبط بظهور السلفية بأوروبا بالتسعينيات وتتركز هذه الحركة خارج المدن و هي عبارة عن حركة طائفية أكثر منها جماعاتية فهي ترفض تدين الآباء اي التدين التقليدي و لا تظهر الاهتمام بالثقافة الجماعاتية و لا بالسياسة.

هذه الحركة مع أنها تدعو للهيمنة الذكورية إلا أنها تلقى استجابة من خلال شابات ولدن و درسن بفرنسا.

و يرى الباحث أن ارتداء النقاب ما هو إلا تأكيد للذات بقطيعة بالقيم المهيمنة للمجتمع و تظهر كذلك هذه القطيعة برفض التدين الأسري الموروث و بالتالي هي تأكيد فردا نية دينية[1].

3- *دراسة آر سنتَرز* Centers ·

هذه الدراسة التي قام بها الباحث، حاول من خلالها إبراز العلاقة بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية بالأحوال الفكرية والعقائدية...الخ. متخذا دراسة الطبقات، لتوضيح ذلك ، و رأى أن المجتمع الرأسمالي تميزه طبقتين أساسيتين هما الطبقة المتوسطة

[1] -Samir Amghar et autres, coordonné par Laurent Testot et Jean-François Dortier , La religion, Édition Sciences Humaines ,France 2005p196-197-198-200.

و الطبقة العمالية ومن خلال معاينته الميدانية لكل من الطبقتين بين المؤهلات العلمية و الثقافية ونمط الحياة و المعيشة و الظروف الاجتماعية و الاقتصادية و المادية لكل منهما ، ثم قام بعدها بتحليل أفكار وقيم ومعتقدات ومصالح ...الخ الطبقتين ، ليصل بعد تحليل علمي وموضوعي إلى نتيجة أن واقع و ظروف الأفراد هي من تقرر أفكارهم و معتقداتهم .[1]

4- دراسة أخرى

و التي خصت المجتمع المغربي بعنوان "القيم والممارسات الدينية في المغرب" كانت بإشراف من الباحث محمد جنجار الصغير وقد تمت بمقاربة سوسيولوجية من محمد العيادي، أنثروبولوجية من حسن رشيق و كذا السياسية من خلال محمد الطوزي وقد قسم هذا البحث إلى ثلاث محاور وهي المرأة والتدين، الشباب والتدين، المعتقدات الدينية والقيم.

وقد أظهرت الدراسة أن أغلبية المجتمع المغربي اختار الهوية الإسلامية قبل هويات أخرى (مغربية، عربية، أمازيغية).

كما كشفت أن المجتمع المغربي بفعل الحداثة يتجه نحو العلمنة.

[1]– طه نجم ، علم اجتماع المعرفة (دراسة في مقولة الوعي و الايديولوجيا) ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر 2004.ص125

الإشكالية:

يعرف اليوم الحقل الديني في الجزائر ظهور بعض الجماعات و الحركات الدينية التي لم تكن بارزة من قبل، من بينها الحركة السلفية الوهابية التي تعرف بالسنوات الأخيرة نموا ملحوظا من خلال تزايد أتباعها الذين يتبنون تدينا طائفيا كما وصفه بعض الباحثين[1] ذلك لأنهم يتميزون في شكلهم عن الآخرين، و كذلك من خلال تصوراتهم وممارساتهم التي تحدث القطيعة بأنماط التدين التقليدية المعروفة بالمجتمع و بالخصوص إسلام الزوايا والأضرحة.

هذه الحركة ربطت بالفكر السعودي الوهابي الذي يعرف انتشارا واسعا سواء بالجزائر أو غيرها من المجتمعات حتى الغربية منها و هي ممولة في أغلبها من العربية السعودية الراعي الرسمي لهذا المذهب و الذي بدوره شكل اليوم ما يسمى بالظاهرة السلفية ، كما ربطت أيضا ،بظروف و وقائع اجتماعية كالأزمات السياسية و الاقتصادية التي ساهمت بدورها في تشكيلها بشكل كبير.

و أحد عناصر الظاهرة السلفية هو الخطاب السلفي المعروض من خلال الأدبيات و الكتب أو من خلال وسائل الإعلام و القنوات الفضائية، حيث لاحظنا أن هناك كما هائلا من الكتب و البرامج الدينية الموجهة للمرأة، أين تشكل أهم محاوره و قضاياه و المدعمة بالنصوص سواء كانت من الكتاب أو الأحاديث النبوية أي السنة، و بما أن المرأة هي أيضا فرد من هذا المجتمع فلا يمكن فصلها عما يحدث فيه من ظواهر فهي تؤثر و كذلك تتأثر فهي ليست مبعدة عن استجابتها لهذا الخطاب و الايديولوجيا الوهابية الجديدة بالمجتمع و بالتالي فهي تعتبر فاعلة و مشكلة للظاهرة السلفية أيضا، مع أن المرأة و كما تشير الدراسات أنها أكثر امتثالا للقواعد و التقاليد الجماعية المتعارف عليها عند الجميع

[1]– من بينهم عبد الحكيم أبو اللوز و سمير أمغار

وبالتالي تكون أكثر وفاء لأنماط التدين المحلية ،هذا ما جعلنا نطرح السؤال التالي : لماذا تختار المرأة هذا النمط من التدين (التمسلف) في حين تعتبر أكثر من غيرها امتثالية لما هو سائد اجتماعيا ؟ أي لماذا ترفض التدين التقليدي باستبداله بتدين ليس له قاعدة اجتماعيا مع أن النمطين ينتميان للدين نفسه ؟

الفرضية:

يعبر تمسلف المرأة عن ظروف وأوضاع ثقافية واقتصادية –طبقية وأوضاع اجتماعية تعيشها المرأة و تحيط بها و هي ما تسهل لها تبني نموذج تديني (التسلف) ورفض الأشكال التدينية الأخرى المعروفة بالمجتمع لأنها لم تعد تستجيب لمتطلباتهن و احتياجاتهن.

الإطار النظري:

بدراستنا هذه اعتمدنا النظرية البنائية الوظيفية،والتي وضع أساسها إميل دوركايم وبعده ميرتون بارسونز، وراد كليف براون وغيرهم ممن طوروا هذا الاتجاه،الذي يرتكز على فكرتين أساسيتين تنطلق منهما النظرية :البناء الاجتماعي و الوظيفة .

فالمجتمع يتكون من أعضاء وكل عضو يقوم بوظيفة معينة بهدف الإبقاء على النسق الاجتماعي ككل و بالتالي استمراره من خلال مجموع العلاقات التي تربط بين الأجزاء والتي تجعل الكل بناء متماسكا.[1]

العينة:

لقد كانت معاينتنا غير احتمالية وهي تتماشى والبحوث الكيفية التي تعتمد تقنيات الملاحظة و المقابلة،و قد تم تحديدنا لعناصرها من خلال حضورنا للتجمعات والأماكن التي يقصدنها، كالمساجد مثلا،حيث تمت مواظبتنا على حلقات دينية مسجدية تقام في مسجد دار الحديث،مسجد السنة، و مسجد أبو عبيدة بن الجراح و هي مساجد بمدينة تلمسان.

كما تم حضورنا لبعض حفلات الزفاف مما ساعدنا في التعرف على عدد لا بأس به منهن ثم اخترنا بعد ذلك من تمثلن مجتمع البحث انطلاقا من إمكانيتنا في ذلك حيث اخترنا أولئك اللواتي تتكرر لقاءاتي بهن .

لقد اخترنا بداية عينة مكونة من عشرين امرأة، لكن تقلصت فيما بعد بسبب ظروف خارجة عن نطاق البحث، إلى اثنتا عشر مبحوثة.

[1]– عليا الحوات،النظرية الاجتماعية اتجاهات أساسية، منشورات شركة الجا للطباعة و النشر العلمي المحدود، مالطا،1998ص98

المنهج:

لقد تم استخدامنا للمنهج الكيفي و الذي يهدف إلى فهم الظواهر الاجتماعية فهما معمقا، من خلال تحليل أقوال وسلوكات المبحوثات المحصل عليها من عدد قليل من المقابلات و الملاحظات.

التقنيات المستعملة:

1- المقابلة:

لقد تم استخدمنا في عملية جمع المعطيات الميدانية للمبحوثات، تقنية المقابلة سواء كانت فردية أو جماعية، و هي تقنية مباشرة بين الباحث و المبحوثين، و هي تعتبر من أحسن التقنيات في البحوث الاجتماعية و الإنسانية لأنها و كما تسهم في جمع الخطابات، تساعد على معرفة ردود أفعال المبحوثات نظرا للاتصال المباشر معهن، و لأنها ملائمة تتماشى والبحوث الكيفية.

2- الملاحظة:

وقد دعمنا بحثنا أيضا من خلال استعمل تقنية الملاحظة وهي تقنية مكملة وضرورية للتحقق ومراقبة ممارسات المبحوثات؛ حيث قمنا بملاحظة جماعة المبحوثات أثناء تفاعلاتهن اليومية و العفوية و كذا ملاحظة الحدث أثناء وقوعه و الذي يسهم في تدعيم المقابلة و فهم و تحليل المعطيات المحصل عليها.

استندنا في بحثنا هذا أيضا على مخبرة، حيث كانت تسهل لنا عملية الاتصال بالـ مبحوثات وعن مضمون الحلقات الدينية وعن الإحاطة أكثر بأوضاع المبحوثات.

تحديد المفاهيم الاجرائية :

السلفية:

تتجلى في حركة وجماعة دينية إسلامية، ذات طابع طائفي[1]، تحاول تصحيح العقائد و الممارسات الدينية مما علق بها من مستحدثات و تطورات (البدع)، وذلك بالرجوع بها إلى طابعها الأصلي، أي إلى ما كان عليه السلف الصالح و أهل السنة والجماعة، المتمثلين في النبي صلى الله عليه و سلم، و الصحابة من بعده ،و التابعون، مشكلين بذلك قطيعة بنماذج التدين الأخرى فهي بالنسبة لهم لا تمت للإسلام الحق بصلة. أنها جماعة تعول على شرائح المجتمع، دون اللجوء إلى وسائط سياسية، حزبية أو جمعوية.

التّمسلف:

ونعني به، اختيار السلفية كنمط تديني، من خلال تبني الإيديولوجيا السلفية (الوهابية) تصورا و ممارسة، فيكون ذلك تمسلفا.

الوضع الثقافي:

هذا الوضع يعبر عن الحالة الفكرية، بالخصوص للمبحوثات، الحديث عن الفكر لا يكون إلا بالحديث أولا عن المستويات التعليمية و الشهادات المحصل عليها،هذا ما يعتبر رسميا ،بالإضافة إلى التعلم الفردي الحر وهو تعليم غير رسمي ، يحصل من خلال المطالعة و أنواع الكتب المطالعة ..الخ ، و كل هذا يشكل حالة و وضعية ثقافية للمبحوثات.

[11]– عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب، (رسالة دكتوراه)إشراف محمد الطوزي ، 2007–2008 ، المغرب.

الوضع الاقتصادي:

يعبر عن الحالة المادية للمبحوثات وأسرهن كذلك، و هي بدورها تصنفهم ضمن طبقة معينة انطلاقا من الوضعية المادية والتي تتحدد في مجملها بقيمة الدخل و أنواع المهن المزاولة و الملكية ، والفضاءات السكنية اللاتي ينتمين إليها ...الخ.

الوضع الاجتماعي:

هو وضع يصف أسر المبحوثات، من ناحية نمط التنشئة الاجتماعية، التصورات التي توجههن ...و كذلك أدوارهن سواء كن ربات بيوت أمهات، متزوجات، غير متزوجات، مطلقات ... انه، يحيط بالمرأة و يساهم بدوره في تمسلفها.

الفصل الثاني

الدين و المرأة

الظاهرة الدينية في بعض المقاربات:

ليس هناك تعريف موحد للدين بين جموع الباحثين، فدراسة الظاهرة الدينية بدأت تقريبا في نهاية القرن 19 ، نتيجة التغيرات و التحولات التي عرفها العالم منذ أن بدأت الحداثة تغزوه، و قد قدم عدة علماء من بينهم ادوارد تايلور و جيمس فريزر، دوركايم، مرسال موس، ماكس فيبر ...الخ مقاربات لتفسير الظاهرة الدينية حسب توجهاتهم، وتبعا لاختلاف الأديان نفسها[1] التي قاموا بدراستها.

من بين هذه المقاربات، نجد مقاربة إميل دوركايم، حيث و بعد مؤلفه الشهير قواعد المنهج السوسيولوجي (1895) ،يحاول أن يدرس الظاهرة الدينية دراسة علمية، و قد برز ذلك من خلال مؤلفه " الأشكال الأولية للحياة الدينية "، حيث ارتكزت دراسته على الدين بالمجتمعات التقليدية،والمتمثلة في الطوطمية عند سكان استراليا الأصليين، والطوطمية تتجلى في تقديس حيوان أو نبات يحظى بالاحترام و الإجلال، تتمحور حوله مجموعة من الطقوس والشعائر، تمارسها الجماعة كرمز على التقديس [2]و من هنا، طور دوركايم و بلور مفهومه عن المقدس و الدنيوي، و يعطي الفرق بينهما، فالأشياء المقدسة تتمثل في تلك الأمور التي تعزلها المحرمات، أما الدنيوية، فتطبق فيها المحرمات و المحظورات و التي تبقى بعيدة كل البعد عن الأشياء المقدسة.

ويعرف المعتقدات على أنها عبارة عن تمثلات تشرح طبيعة الأشياء المقدسة و علاقتها بالأمور الدنيوية أما الطقوس فهي قواعد إتباع[3].

[1] Jean Paul Willaime . Sociologie des religions.3ieme édition .Puf .france2005p 144-115

[2]– أنتوني غيدنز، علم الاجتماع ، ترجمة فايز الصباغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، الطبعة الرابعة ص 580.

[3] – Jean Paul William،Op.cit. 18-19

ومن خلال العبادة، يحاول المجتمع تأكيد ذاته و ترسيخ قيمه و شرعيته، فالدين يحتوي على المعتقدات والطقوس والاحتفالات التي يجتمع فيها المؤمنون ومن خلالها يترسخ الشعور بالتضامن الاجتماعي و تتغلب الروح الجماعية على النزعة الفردية .[1]

من الأوائل أيضا الذين أعطوا فهما للظاهرة الدينية، نجد ماكس فيبر،الذي قام بتحليل نقاط التميز والتمايز في المجتمع الغربي بمقارنته بمجتمعات تنتمي إلى حضارات مختلفة عنه، وقد قام بدراسات عن ديانات الشرق، منها البوذية ، الهندوسية ، الطاوية و اليهودية القديمة والإسلام وأبرز مؤلفاته كانت حول المذهب البروتستانتي " الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية" ، وقد أعطى فيبر الأهمية الكبرى للفعل الاجتماعي، حيث ربط بين الـ دين و الفعل الاقتصادي، و هنا جاءت نظريته عن دور البروتستانتية و لاسيما الاتجاه التطهري البيوريتاني منها في نشوء الرأسمالية حيث يرى "أن الذهنية البروتستانتية كانت أحد المصادر في عقلنة الحياة التي ساهمت في تكوين الروح الرأسمالية".

فالأفكار القيم الثقافية قد أسهمت في تشكيل المجتمع و في توجيه أفعاله.

كما طور فيبر مفهوم الخلاص، من خلال دراسته لبعض التيارات في المسيحية، و الخلاص يعني الاعتقاد بأن بوسع البشر إنقاذ أنفسهم بإتباع بعض المبادئ الدينية التي ستنقذهم من الخطيئة الأصلية.

ومن خلال دراسته للديانات الشرقية و خصوصا الهندوسية، رأى أنها ديانات أخروية تنطوي على حواجز تحول دون التنمية الرأسمالية التي شهدها الغرب، فمنظومتها الفكرية تختلف عما هو سائد بأوروبا[2].

[1]– أنتوني غيدنز. مرجع سابق ص 581

[2]–المرجع نفسه، ص 583

إحدى المقاربات المشهورة أيضا، المقاربة الماركسية، مع أن ماركس لم يدرس الدين بصورة تفصيلية إنما من خلال نقده السياسي للدين الذي اعتبره "أفيونا للشعوب"[1]. متأثرا بمقاربة فيورباخ خاصة عن الاغتراب، فيرى أن الدين هو نوع من الاغتراب الإنساني.

ويبرز ذلك في تحليل سوسيو تاريخي لتأثير السياسة على الدين من خلال الخطب والمواعظ التي تخدم مصالح الطبقة البورجوازية، بحث العمال على الرضى بمصيرهم و القناعة، حيث يوفر الدين لهم الملاذ من قسوة الواقع اليومي والسعادة الوهمية للشعوب لأنه يؤدي إلى صرف النظر عن الظلم و التفاوت وكل أشكال اللامساواة و ذلك بإلهائهم بالحياة الأخروية[2].

وقد تنبأ العديد من العلماء والباحثين في علم الاجتماع والفلسفة، الأنثروبولوجيا والتاريخ وغيرها منذ نهاية القرن 19أن الأديان ستزول و تختفي، و أن العلم و العقل سيحلان محله فمع التطور والحداثة التي تعرفها المجتمعات،يكف الأفراد عن الاعتقاد في القوى الغيبية و يفقد الإحساس أيضا بما هو مقدس، لكن في سنوات الستينيات والسبعينيات و ما بعدها الى اليوم سجلت عودة للدين في كافة المجتمعات تقريبا شرقية، غربية، متخلفة أو متطورة ...هذه الظاهرة أصبحت تسمى عند العديد من الباحثين إن لم نقل كلهم بـــ"عودة المقدس" أو "عودة الديني"، في واقع الأمر نتحفظ عن هذه العبارة والتي تعني لنا أن الدين قد اختفى وزال كليا ليعود مرة أخرى.

[1] - Jean Paul Willaime, op.cit. p 12

[2] – أنتوني غيدنز، مرجع سابق ص 579

فالأمر لا يتعلق بزوال الأديان ثم عودتها، إنما هناك أشكال تدينية جديدة ظهرت و لا زالت تظهر ،من خلال إعادة تشكيل وصياغة جديدة للديني[1]، فالمسيحية لم تزل،و لكن الإنجيلية البروتيستانتية هي حركة جديدة العهد تعيد صياغة جديدة للمسيحية، ولا البوذية زالت لكن البوذية المتطرفة بأوروبا جديدة العهد كذلك،ولا غيرها من الأديان الأخرى، إنما هي حركات دينية ولدت وتولد من رحمها مشكلة أنماطا دينية جديدة من دين موجود في الأصل.

[1]- أوليفيي روا، الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة، ترجمة صالح الأشمر،دار الساقي، الطبعة الأولى،2012، ص88

الإسلام : دين، هوية ثقافية، وإيديولوجيات :

يعتبر الإسلام من الديانات السماوية التوحيدية الذي جاء بعد اليهودية والمسيحية و هو الدين الذي أوحى به الله على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم، ويعتبر آخر الرسالات السماوية و محمد آخر الأنبياء.

بعد وفاة الرسول (ص) ظهرت اتجاها و مذاهب عديدة كانت نتيجة اختلاف وتعدد الرؤى و حتى المصالح، من بينها وأشهرها إلى حد اليوم السنة،والشيعة ،حيث تمثل السنة التراث و التقليد النبوي أي ما ثبت على الرسول صلى الله عليه و سلم و صحابته الكرام و لها أربع مدارس فقهية و هي الشافعية و المالكية ، الحنفية و الحنبلية.

أما الشيعة فنسبة لمن تشيعوا لعلي رضي الله عنه، و آل بيته، و يرون أحقيتهم بخلافة المسلمين بعد النبي أي الإمامة وهي بدورها انقسمت عدة مذاهب من بينها : الجعفرية و الإسماعيلية و الزيدية ...الخ[1]

انتشر الإسلام عن طريق الفتوحات الإسلامية والتجارة إلى عدة بلدان و أمصار، ويمثل اليوم معتنقوه، ثاني أكبر نسبة في العالم بعد المسيحية، و يتمركزون بشمال إفريقيا، و الشرق الأوسط ،و جنوب آسيا، و هي مجتمعات تسمى و تعتبر إسلامية، بالإضافة إلى المعتنقين الجدد سواء بأوروبا أو أمريكا وغيرها من مناطق العالم .

عندما حل الإسلام على شعوب متعددة الثقافات و الإثنيات، لم يلغي الثقافات التي وجدها، بل استمرت الهويات الثقافية إلى جانب الإسلام كمعتقد، و هذا ما خلق عدة انتماءات و أشكال للإسلام انطلاقا من تعدد الثقافات، فنتحدث عن إسلام تركي وإسلام إفريقي و إسلام مغاربي ...الخ.

[1]- Michel Reber ; Petite sociologie de l'islam. Édition Milan France 2005 p 118-119

وقد أوضحت دراسة غيرتز ذلك في كتابه الشهيرObserver l'Islam التطور الديني في كل من مراكش بالمغرب، وجزيرة جافا باندونيسيا ،حيث درس كيف تطور دين واحد له التعاليم نفسها وهو الإسلام بطريقتين مختلفتين، وقد كان ذلك حسب الظروف التاريخية و الاجتماعية، وبين كيف تؤثر الثقافة المحلية في الدين الواحد ،و هذا ضمن العلاقة بين النص والفعل، وبالتالي فالظاهرة الدينية تفاعلت بطريقة وثيقة مع الواقع و بالمتغيرات الاجتماعية، وهذا حال الإسلام الجزائري الذي هو جزء من الإسلام ألمغاربي والذي تأصل في هوية الجزائريين – و إن اتخذ نماذج عديدة – لدرجة أنه لا يمكن التحدث عن الهوية الجزائرية دون الأخذ بعين الاعتبار الدين الإسلامي كأهم عناصرها و مكوناتها و هذا ليس معناه أن الجزائريين أكثر تدينا، و إنما هناك تداخل وتفاعل ثقافي بين عنصر الدين و عناصر أخرى (الثقافة المحلية) حتى أن التبشير الديني أثناء الاستعمار،ر فشل فشلا ذريعا وخيب أمال الكنيسة الكاثوليكية ما دفع الأب كريستيان دلهوم يقول أنه لا ينبغي تحويل الجزائريين إلى المسيحية لان السمة الإسلامية جزء لا يتجزأ من الهوية الجزائرية [1].

و حتى المتحولون الجدد اليوم إلى المسيحية مثلا يعاقبون اجتماعيا قبل القانون و أحيانا من أفراد لا يعتبرون متدينين حتى.

[1]– أوليفيي روا، مرجع سابق، ص40

بعض أنماط التدين بالمجتمع الجزائري:

1. التدين الشعبي:

ومن بعض نماذج التدين في المجتمع الجزائري، ما يسميه البعض بالتدين الشعبي وهو مشترك تقريبا بين أفراد كل المجتمع، فأغلبية الجزائريين مسلمون يشتركون في أداء الطقوس وبعض الشعائر كالصلاة، مثلا، الصوم، الأعياد الدينية...الخ، ومن الناحية المعنوية، يشتركون في تلك التصورات و القيم السائدة المتداخلة فيما بينها، و التي تظهر على شكل أعراف و أخلاق...[1] ، في هذا الصدد نجد غيلنر أيضا وضحه حين فرق بينه و بين إسلام الصفوة و هو إسلام العلماء (الفقهاء)، الموجود بالحضر، و إسلام العامة أو التدين القبلي أي الشعبي، حيث يعتمد الأول القرآن و تفسيره و السنة و شرحها، أما القبلي فهو موجه نحو الطقوس و العبادات لا القوانين[2].

بالإضافة إلى بعض الممارسات كزيارة الأضرحة أو ما يعرف بـــ Le maraboutisme [3]، و ما يسمى أيضا بالصوفية الطرقية التي كانت منتشرة ولازالت في كل البلاد الإسلامية، أما في الجزائر فهي تتجلى من خلال الطرق الصوفية كالرحمانية، القادرية، التجانية و غيرها، وهي تتخذ من الزوايا مراكز للتلقين والتعليم... الخ و هي كلها أشكال لها قواعد شعبية تتدرج بإطار التدين الشعبي.

[1] – مجموعة مؤلفين ،الإسلام و السياسة ، مرجع سابق ص07.

[2] سامي زبيدة، أنثروبولوجيا الإسلام مناقشة و نقد لأفكار ارنست غيلنر – دار الساقي، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى 1997ص11.

[3] زيارة الأضرحة مستهجنة عند بعض النماذج التدينية الأخرى كالسلفية بكل فروعها.

2. التدين الرسمي:

أما الدين الرسمي أو دين السلطة: يتجلى من خلال المؤسسات الدينية التي تشرف عليها الدولة، هذه الأخيرة تتبنى الإسلام دينا لها، و انطلاقا من ذلك تعتبر المؤسسات الدينية في الجزائر جهازا إيديولوجيا من أجهزة الدولة المتعددة و المختلفة بدءا بوزارة الأوقاف التي تشرف على المساجد، و المسجد الإسلامي الأعلى و غيره من المنظمات و المؤسسات، التي تتخذها أساسا لتمرير إيديولوجيتها و سياستها، ولا تقف الدولة عند هذا القدر فقط، بل يشكل الدين الشعبي أيضا، ركيزة تستند عليها، لأجل تثبيت مشروعيتها[1] مثال ذلك ما لحظناه في السنوات الأخيرة، حيث كانت هناك عملية إحياء للعديد من الزوايا و الطرق الصوفية من طرف أعلى المسئولين بالبلاد، و التي كانت مهمشة لفترة طويلة نتيجة تصاعد الحركات الإسلامية بشتى أنواعها و التي قامت بإضعافها بالإضافة إلى حضور العديد من الشخصيات السياسية للحلقات.

هناك كذلك نماذج تدينية أخرى صعدت و تنامت في التاريخ الحديث للجزائر وهي ما يسمى بالأصوليات الإسلامية والسلفية بشتى أنواعها.

لقد ظهرت بالعالم الإسلامي من نهاية القرن 18 و 19 إلى غاية القرن 20 كرد فعل على المستعمر الأجنبي، و على بعض العقائد الدخيلة على الإسلام، فنجد مثلا السلفية الوهابية التي ولدت بالسعودية، و السلفية الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني و محمد عبده و رشيد رضا، و جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، وسلفية جماعة الدعوة و التبليغ، التي ولدت كرد فعل على الهندوسية و السيخية بالهند و سلفية الإخوان المسلمين و التي ظهرت في مطلع القرن 20 و غيرها .و كلها حركات دينية سميت بالسلفية أو الأصولية الإسلامية كونها كانت تنادي بالعودة إلى الأصول.

[1] مجموعة مؤلفين، الإسلام و السياسة، مرجع سابق، ص07.

3. السلفية:

1.3. لغة: السلفية من كلمة سلف والتي تعني في اللغة العربية ما مضى واقتضى. وسلف، جمع أسلاف، كل واحد من أهل الإنسان الذين ينحدر منهم.[1]

2.3. اصطلاحا: يقصد بالسلف صحابة النبي (ص) و الأوائل من الخلفاء الراشدين المعروفون في التاريخ الإسلامي و هم أبو بكر، عمر ابن الخطاب، عثمان ابن عفان، و علي ابن أبي طالب، بالإضافة إلى التابعين و تابيعي التابعين، هؤلاء من يمثلون الأجيال الثلاثة يسميهم الفقهاء ب " السلف الصالح"، حيث يعتبرون الإطار المرجعي و العصر الذهبي للإسلام، فهم القدوة و النموذج الذي يجب أن يحتذى به،وذلك لما يميزهم من تقوى، وورع، و نشرهم للرسالة المحمدية في العديد من الأصقاع، و انطلاقا من كل هذا أسس مجموعة من الثيولوجيين في الإسلام علاقة سببية بين إيمان السلف و النجاح العسكري و السياسي، آنذاك للمسمين،[2] و من هؤلاء نجد الإمام الفقيه الذي أسس لهذه الفكرة أحمد بن حنبل، (780–855) ، مؤسس المدرسة الحنبلية و هي واحدة من المدارس السنية الأربعة على غرار المالكية و الشافعية و الحنفية، وهي عبارة عن مدرسة فقهية تقليدية تراثية ،أكثر انغلاقا أمام المبتكرات و المستجدات،[3] قد كان مؤسسها الإمام بن حنبل، من أكثر المعتمدين على الحديث في بنائه للشريعة،[4] وقد برز مذهبه كرد فعل على العقل اليوناني الذي كان بالنسبة إليه يمثل خطرا على الإسلام و أصوله،[5]كما كان أكبر

[1] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق بيروت. الطبعة الثانية، 2001.

[2] Samir Amghar ,op.cit.p198

[3]-Anne-Marie Delcambre, l'Islam, éditions La Découvert, Paris France ,1991 p 70

[4] هشام جعيط، أزمة الثقافة الإسلامية. المركز الثقافي العربي، الط الأولى ،بيروت لبنان، ص78.

[5] كمال عبد اللطيف، أسئلة النهضة العربية، مركز دراسات المحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2003 ص203.

مقاوم للاعتزال[1]، حين أعلن الخليفة المأمون خلق القرآن عارضها الإمام،وسجن لأجل ذلك وعرفت في التاريخ بمحنة الإمام أحمد. ثم تبلورت السلفية في إطار سنية متشددة مع الإمام ابن تيمية، (1263–1328) في أواخر الحكم العباسي، و قد كانت كرد فعل على ما كانت تواجهه الخلافة الإسلامية آنذاك سياسيا و اجتماعيا ، خاصة غزو المغول (التتار) وسقوط بغداد، حيث دعا إلى إعادة إحياء عقيدة السلف، وتحرير الأذهان مما علق بها من شوائب، وعقائد فاسدة،و حمل أهل البدع من صوفية، قدرية، و باطنية وفلاسفة، مسؤولية السقوط و الانحطاط.[2]

وتتجلى سلفية ابن تيمية في محاولة تأصيله للإسلام السني، من خلال القرآن و السنة، وكما ترجمتها الحياة في المدينة في الجيلين الأولين، ولا ضير أن يضاف الثالث والرابع[3]، و أن العقائد لا تؤخذ إلا من النصوص، لا بالعقل، لأن العقل يضل، و غيرها من الأساليب هي مستحدثة في الإسلام و لم تكن معروفة عند السلف الصالح (الصحابة والتابعون).

لتبرز هذه الفكرة مرة أخرى والداعية للعودة للسلف، مع الإمام محمد ابن عبد الوهاب (1720–1792) ، كامتداد للمذهب الحنبلي و الفكر التيمي بشبه الجزيرة العربية، وقد ظهرت هي أيضا، كرد فعل على الانحطاط الذي كانت تمر به الخلافة العثمانية وهيمنة النموذج الغربي، و بالتالي تحديه للسلطة العثمانية، التي كانت آنذاك تدعم السنة لا كما يفهمها السلف، بل كما آلت إليه من خلال العصور هذا من جهة ،و كإصلاح ديني لما كان يسود بالقبائل العربية من خرافات و سحر، وتقديس للأضرحة،من جهة أخرى

[1] هشام جعيط، المرجع السابق ص78.

[2] كمال عبد اللطيف، المرجع السابق ص 203.

[3] حسن سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2005، ص88.

بالإضافة إلى محاربة الشيعية بشبه الجزيرة العربية ، و كان الحل بالنسبة إليه العودة والرجوع إلى الدين في أصوله (القرآن و السنة) و تحرير الأذهان من البدع، و الهرطقات والمذاهب الأخرى، و قاده ذلك إلى عنف و صراع و حروب خاضها مع صهره محمد بن سعود، وقد قاد ذلك إلى تأسيس دولة سعودية وهابية تحت حكم آل سعود سنة 1933.[1]

ومن خلال ما سبق، يمكن القول إن السلفية ابتدءا من الإمام أحمد ابن حنبل مرورا بابن تيمية إلى محمد بن عبد الوهاب، قد ظهرت في فترات تاريخية عانت فيها الدولة الإسلامية من انحطاط و مواجهة أزمات، لتطالب بالعودة إلى دين الأسلاف، هذه الحركة لم يكن من أهدافها إصلاح اقتصادي أو سياسي أو اجتماعي، إنما الإصلاح بالنسبة لها هو الرجوع إلى دين السلف.

وقد قدم الباحث فهمي جدعان ملخصا عاما عن السلفية نبرز أهم ما جاء فيه فيما يلي:

- الرجوع إلى الكتاب و السنة.
- مناهضة الإحداث في الدين المتولد من الأخذ بالرأي و القياس.
- نبذ التأويل العقلي.
- التعلق بوحدة الجماعة و الطاعة للسلطان.
- الاقتداء بالخلفاء الراشدين و الصحابة و التابعين.
- التسليم بالغيبيات.
- تقديم العلم النافع دينيا على كل علم.[2]

[1] حسن سعد، المرجع السابق ص95.

[2] كمال عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 203.

أما عن تاريخ السلفية في الجزائر فيختلف العديد من الباحثين حول التأريخ لها، فهناك من أرجعها إلى ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست عام 1931 بقيادة الإمام عبد الحميد ابن باديس[1]، حيث تعتبر أول جمعية تبنت مشروع الإصلاح، فقد تأثر مؤسسوها بالأفكار الإصلاحية التي ظهرت بالمشرق العربي في القرن التاسع عشر على يد جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، و قد كان من أهداف الجمعية إحياء تعاليم الإسلام الحقة، وتخليصه من الخرافات و الطقوس التي علقت به، و هي التي أدت إلى تقهقر المسلمون نتيجة ابتعادهم عن تعاليم الإسلام كما يطبقها السلف الصالح و بالأخص الخلفاء الر اشدون، فالحل للخروج من الأزمة إذن هو الرجوع إلى القرآن و السنة و تطهير الدين من كل الشوائب التي علقت به ولأجل تحقيق ذلك أنشئوا المدارس و اهتموا بالتربية والتعليم[2].

وبشكل عام تأثرت الحركات الإسلامية السلفية التي ظهرت في الجزائر بالحركات الإسلامية في العالم سواء إخوانية، أو تبليغية، أو الوهابية بالعربية السعودية خاصة بعد مظاهرات وأحداث 05 أكتوبر 1988.و التي كانت كانتفاضة بسبب أزمة اقتصادية وانغلاق سياسي ، وتفشي الفساد بكل أنواعه ...الخ.

ويرى العديد أن هذه الحركة الإسلامية بشكل عام، كانت كنتيجة لعملية التعليم و التعريب وإيديولوجيات الأساتذة القادمين من المشرق ومن العربية السعودية، حيث تحولت المدارس لأماكن تلقين ووعظ ديني من طرف هؤلاء الأساتذة، و بالتالي سرعان ما تحول كل هذا إلى إسلاموية والتي ببداياتها أرادت رمي مخلفات الإرث ألالئكي الفرنسي من المجتمع ككل ،فأخذت المساجد مكان المدارس، وأصبحت مكانا للتجمعات

[1] مجموعة مؤلفين، الإسلاميون و المجال السياسي في المغرب و البلاد العربية، ص72.

[2] محمد حربي،الثورة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2006، ص120ص

و مركزا للأعمال الخيرية الممولة من العربية السعودية و من هنا بدأت فكرة أن الشريعة الإسلامية هي التي ستحل الأزمة و كل المشاكل لأن كل شيء موجود بالكتاب[1].

وبما أن السعودية تمثل أرض الإسلام، و المكان المقدس الذي يحج إليه من كل بقاع العالم، والمذهب السائد فيها هو الوهابية، فقد استغلت العربية السعودية هذا الرأسمال الرمزي، و بدأت تنشر إيديولوجيتها الوهابية بتدعيم حركات المقاومة في بعض الدول التي كانت تحت الحكم السوفييتي، أي محاربة الاشتراكية باسم الإسلام، وكان ذلك أيضا في بلدان عربية من بينها الجزائر، و قد أقيم فرع في الجزائر تابع لتنظيماتها بالعالم باسم "الدعوة" بإشراف من مفتي المملكة آنذاك ابن باز، و كان رئيس الرابطة الجزائرية الشيخ أبو بكر جابر الجزائري (و هو حاليا موجود بالسعودية) الذي تتلمذ عنده الشيخ علي بن حاج[2]، و قد عرفت فترة الثمانينات نشاطا دعويا هاما خاصة بالمساجد، إلا أن هذه الدعوة أخذت منحى آخر، حين التحق علي بن حاج بالسياسة و أسس حزبا إسلاميا والمعروف ب"الجبهة الإسلامية للإنقاذ" مما جعل البقية تنتقده و تنتقد من سار معه[3]، وبالتالي فالسلفية في الجزائر على الذهج الوهابي لم تختر السياسة لأجل إقامة دولة إسلامية، إنما كانت تعتمد على المجتمع بعيدا عنها، لكن هناك من يرى أن السلفية الوهابية برزت للعيان مع مطلع سنوات 2000 أي بعد مجيء الرئيس بوتفليقة، فظهرت جماعة بأوساط الشباب متميزة في هندامها الذي لم يكن معروفا من قبل: الجلابيب للنساء، و القميص للرجال، لكنهم لا يشكلون تنظيما حزبيا و لا جمعويا،معتمدين في ذلك على مرجعية سعودية وهابية تتمثل في مجموعة من الشيوخ كالألباني و ابن باز، وابن عثيمين....، و لقد ساعد في نمو هذا التيار وسائل الإعلام و بالأخص القنوات التلفزيونية الخليجية (السعودية)، ومن خلال

[1] -Marc Ferro ; le choc de l'islam ;Édition odil Jacob. France 2003 P174-175

[2] AISSA KHELADI, Les Islamistes Algériens face au pouvoir, édition alpha. Alger.1éretrimestre 1992

[3] الخبر الأسبوعي، العدد 526 من 25 مارس إلى 31 مارس 2009.

الكتب التي كانت تبعث مجانا لطالبيها عن طريق المراسلة، وتباع محليا بأسعار منخفضة. لكننا نرى أن هذا التيار هو كرد فعل على فشل الإسلام السياسي سواء بالجزائر أو العالم.

3.3. خصائص الظاهرة السلفية:

- **اللباس: لا** يعتبر اللباس مجرد وسيلة لستر الجسم، بل يحمل دلالات ثقافية وهوياتية و معبر كذلك عن الشخصية، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات له نماذج متعددة من الألبسة التي تميز أفراده من الرجال والنساء و هذا التعدد هو كنتيجة لتعدد الثقافات المحلية،بالإضافة إلى الزي الغربي و هذا بطبيعة الحال كنتيجة لهيمنة الثقافة الغربية. بيد أن الظاهرة السلفية كغيرها من الظواهر الوافدة جلبت معها نمطا معينا من اللباس، لم يكن معروفا بالمجتمع الجزائري،حيث أصبحنا نلحظ أفرادا بعضهم رجال، يرتدون أثوابا قصيرة فوق كعبي القدمين تسمى بالقميص، و الذي يمثل في رأيهم التزاما بسنة النبي صلى الله عليه وسلم،و بعضهم لنساء يرتدين ما يسمى بالجلباب والنقاب (السدال) و اللباس الشرعي الصحيح بالنسبة لهم،-إنه عبارة عن لباس سعودي- وما عداها من الألبسة فهي تشبه بالكفار و يستدلون في ذلك بالقرآن، فكلمة"الجلباب" أين تم ذكر كلمة جلابيب بالقرآن الكريم.

المرجعية الدينية :

اتخاذ رموز الدعوة السلفية الوهابية كمرجعية، و ذلك من خلال الاستدلال بأقوالهم، كالألباني وابن عثيمين، ابن باز، و محمد بن عبد الوهاب... أي المذهب الحنبلي بصفة عامة، ورفض كل ما لا ينتمي إلى هذا المذهب.

تصف نفسها بالطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية.

التركيز على موضوعات من بينها: أمور العقيدة والتوحيد والعبادات، اللباس، الاختلاط، الموسيقى، المرأة، و الابتعاد عن المشاركة السياسية أو الحزبية.

4.3. الخطاب السلفي الوهابي:

يحتل هذا الخطاب مساحة كبيرة من بين مجموع الخطابات الأخرى التي تقدمها الحركات الإسلامية بالعالم. هذا الخطاب الذي في مجمله يركز على موضوع العقيدة الإسلامية وهي عقيدة التوحيد وحمل على عاتقه مهمة تخليصها من الشوائب والبدع التي علقت بها سواء اليوم أو على مر العصور، ويقدم هذا الخطاب البديل الأصح والحقيقي الذي يمثل أهل السنة و الجماعة وهي الطائفة المنصورة والفرقة الناجية من النار مستندا في ذلك على الحديث النبوي التالي "لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم و لا من خذلهم حتى يأتي أمر الله"[1] وحديث آخر، أخبرنا القاضي أبو محمد بن عبد الله بن عمر المالكي قال: حدثنا أبي عن أبيه قال حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي قال: حدثنا قتاة عن أنس عن النبي قال: " إن بني إسرائيل افترقت على إحدى و سبعين فرقة و إن أمتي ستفترق على اثنين و سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة و هي الجماعة."[2]

ما يهمنا في بحثنا هذا هو الخطاب السلفي و المرأة الذي تحتل فيه المساحة الأكبر والأهم، فيقدم حلولا وتعاليم تستند إلى النصوص لأجل تدعيمها و منها:

قضية الحجاب حيث يقدم نموذجا واحدا موحدا لغطاء المرأة مسقطا كل الأنواع الأخرى وهو عبارة عن غطاء كلي يحجب المرأة بما في ذلك وجهها ويوضح كتاب جلباب المرأة المسلمة للشيخ ناصر الدين الألباني ذلك و يقول الشيخ ابن باز "الجلباب ما تضعه المرأة على رأسها و التستر به، أمر الله سبحانه وتعالى جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعور والوجه وغير ذلك ...قال علي بن أبي طلحة عن أبي عاس :أمر

[1]–الإمام عبد العزيز ابن باز و آخرون ، 500 جواب في العقائد ، دار ابن حزم

[2]– عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، الفرق بين الفرق ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ص13

الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، و يبدين عينا واحدة[1] وهو الجلباب السعودي ما تلبسنه السلفيات.

كما يفصل هذا الخطاب بين فضائين: فضاء عام للرجال و فضاء خاض تلزمه المرأة و هو البيت الذي يعتبر مملكتها، فالحجب لا يقتصر على جسد المرأة فقط إنما يتعداه و هو حصرها بالدائرة المنزلية الخاصة بها و توضيح مهامها التي تختلف عن مهام الذكور كأعمال البيت و تربية الأولاد، والعطف والحنان، و ترك المرأة لهذه الأمور يعد خطرا على الأسرة و على الأبناء[2].

ويرى هذا الخطاب خطرا في خروج المرأة للعمل لأنها تشارك الرجل في فضائه مما يتسبب ذلك في اختلاط و الذي تنتج عنه مفاسد أخلاقية وقعت لدى الغرب أولا.

أما في مسألة التعليم فهو يؤكد على الفصل بين الجنسين و الفصل في نوعية التعليم فالبرامج المقدمة للإناث ليس نفسها التي تقدم للذكور حيث يحدد هذا الخطاب ما يناسبها كتعليم الصغار، الطبابة والتمريض بالإضافة إلى الأعمال الخاصة بالنساء كالخياطة ...الخ ، كما يجعل خروج المرأة إلا بشروط و هي رفقتها بمحرم[3].

إن الخطاب السلفي الوهابي لا يأخذ من أولوياته القضايا العامة التي تخص المسلمين سواء السياسة، أو الاقتصادية أو الاجتماعية من محاربة الفساد مثلا أو قضايا تخض الشعوب الإسلامية المضطهدة بفلسطين وغيرها، انه خطاب يبرر سياسة العديد من الحكومات و الهيمنة الأمريكية الإسرائيلية.

---

[1]–الإمام بن باز و آخرون ، مرجع سابق ص 6و7

[2]– عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، التبرج و خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله ، مكتبة المعارف ، الرياض، السعودية 1986.

[3]– بوعلي ياسين ، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة ،دار الطليعة الجديدة ، دمشق سوريا ، الط 11998 ص 81و82

نبذة تاريخية عن وضعية المرأة في بعض المجتمعات :

إن بحثنا هذا يقودنا للإشارة و لو تلميحا لوضع المرأة عموما و الشرقية المسلمة بالخصوص، سواء كان ذلك في الماضي أو الحاضر.

وضع، أسال حبر الكثيرين، في مختلف الاتجاهات و المجالات، كتابا كانوا أو رجال دين، فلاسفة، باحثين من مؤرخين و علماء اجتماع...الخ قديما أو حديثا.

وانطلاقا من ذلك عدنا إلى بعض الكتابات التاريخية التي صورت وضع المرأة في بعض الحضارات من بينها الحضارة اليونانية ، الرومانية و المصرية ، و قد كان اختيارنا لها ليس عشوائيا أو تلقائيا ، إنما بوصفها من بين الحضارات التي عرفت رقيا و ازدهارا في عصرها، لما تركته من تأثير على حضارات أخرى و على العالم بأسره إلى يومنا هذا.

لكن هل هذا يعني أن وضع المرأة كان كذلك على درجة من الرقي ؟؟

لقد كان التشريع اليوناني لا يولي أي اعتراف للمرأة و حقوقها باعتبارها مخلوق تقل إنسانيته عن قيمة الرجل، و تجلى ذلك في مظاهر عدة كحرمانها من التعليم والثقافة[1] أما ببيتها فكان لزوجها أو والدها حق التصرف فيها حسب هواه، كإهدائها مثلا[2].

وبالتالي لم تكن مخصصة إذن إلا للتوالد، حيث كان يتمثل دور الزوجة في الإنجاب و تربية الأولاد، خاصة و أن المدينة اليونانية، اشتهرت على أن الحب فيها كان قائما على صداقة الذكور و عشق الغلمان، و حتى النظام التربوي كان يقوم آنذاك على اللوطية[3].

[1]–عصمة الدين كركر ، المرأة من خلال الآيات القرآنية ، نشر الشركة التونسية للتوزيع ص28

[2]–عبد الأمير منصور الجمري ، المرأة في ظل الإسلام ، ط4 ، دار مكتبة الهلال بيروت لبنان ص 36

[3]–جيزيل حليمي ، النساء نصف العالم نصف الأرض ، عويدات للنشر و الطباعة الط1 ،1998ص 55

هذا الوضع ترجم أيضا من خلال كتابات فلاسفة ذلك العصر، والتي كانت تنبع من نظرة دونية تعكس الواقع بطبيعة الحال، و خير مثال على ذلك تلك النقاشات الدائرة عما إذا كانت المرأة بشرا و هل لها نقس ناطقة ؟...الخ و ها هو أرسطو مثلا يقول:"... إن الطبيعة البشرية لم تزود المرأة بأي استعداد عقلي يعتد به، و لذلك يجب أن تقتصر تربيتها على شؤون التدبير المنزلي، والأمومة و الحضانة وما إلى ذلك ..."[1] "الأنثى أنثى بمقتضى نقص في الصفات"[2]، واعتبرها ديمقريطس معطلة للفلسفة والتفلسف مما جعله يدعو و يحذر من الزواج.

في حين كانت الإماء أكثر حرية من الأخريات من خلال ممارستهن لبعض الأنشطة كالغناء و الرقص و مشاركتهن للنقاشات مع الرجال، وإذاقتهم[3] كل أنواع اللذة، في حين كان يحرم ذلك على الحرائر.

أما في الحضارة الرومانية و التي عرفت أقوى إمبراطورية في العالم آنذاك، والتي تميزت بالشمولية من خلال سلطتها الموسعة على العديد من الشعوب و الأمصار بأوروبا، وإفريقيا الشمالية وأجزاء من آسيا ، لم يكن وضع المرأة بها مختلفا عن وضعها في اليونان، فالقانون الروماني كان يعاملها على أساس القاصر و فاقدة الأهلية ذلك لأنها تحمل صفة الجنون و الأنثى[4].

[1]–عصمة الدين كركر ، المرجع السابق ص 28

[2]– رجاء بن سلامة ، نقد الثوابت ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، الط1، ص 17

[3]– مصطفى النشار، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون،دار قباء للطباعة و النشر،و التوزيع ،لقاهرة ،مصر

[4]– سالم البهنساوي ، مكانة المرأة في الإسلام و القوانين العالمية ، دار القلم الكويت الط2 1986 ص15

إن هذا القانون كفيل بتلخيص وضع المرأة المتردي الذي كانت تعايشه قياسا إلى وضع الرجل و هذا ما تجلى اجتماعيا كذلك ، حيث كان لرب الأسرة كامل السلطة بأن يفعل ما يشاء بزوجته و بناته ...كالبيع ، التعذيب و حتى القتل[1].

في حين يتميز وضع المرأة في الحضارة المصرية عن غيرهن مما سبق، فبالإضافة إلى أن التاريخ أطلعنا على نساء متميزات بهذه الحضارة كان القانون المصري كذلك قد أولاها حقوقها المادية و حق التصرف دون رقابة و اعتبرت سيدة كاملة حتى في العديد من الحالات نسب إليها الأبناء و في حال موت زوجها انتقلت وصايتها على أبنائها، لكن الفقيرات منهن كن في ظروف و أوضاع مهينة و قاسية و ذلك كنتيجة لأوضاع أسرهن[2].

أما عند العرب في الجاهلية أي قبل مجيء الإسلام فهناك الكثير ما يقال، حيث تشيع العديد من الكتابات التاريخية، أن المرأة العربية قبل الإسلام كانت لا تتمتع بأي حق ولا رأي حتى مجيء الدين الإسلامي لكن في الوقت ذاته نجد و من مصادر تاريخية أيضا، نساء كان لهن حضور اجتماعي و سياسي و أدبي ...الخ أمثال الشاعرة الخنساء وهند بنت عتبة و أم جميل زوجة أبي لهب و خديجة بنت خويلد و غيرهن .

لكن هؤلاء النساء كن ينتمين إلى علية القوم أي إلى أوساط عائلية شريفة النسب و العالية الشأن و بالتالي فمكانتهن العالية هي كنتيجة لمكانة أسرهن.

أما غيرهن والمنتميات إلى طبقات اجتماعية فقيرة من الإماء والموالي وغيرهن فلم يكن لهن صوت و لا رأي لدرجة أن بعضهن وئدن تحت التراب.

[1]- المرجع نفسه ص15

[2]- عصمة الدين كركر، مرجع سابق،ص26

وبصورة أعم كانت المرأة عند العرب بمرتبة دونية من الذكر أين كان يتم حرمانها من الإرث بل كانت تعتبر هي إرثا في حالة وفاة زوجها[1].

أما في المجتمع المغاربي البربري قبل مجيء الإسلام كان وضع المرأة فيه شبيهه بمثيلاتها تقريبا عند العرب و اليونان ...الخ ولأنها بمجتمع ذكوري كان يتم حرمانها من الميراث و استمرت هذه الممارسة عند العديد حتى بعد الإسلام لكن هناك من النساء من استطعن أن يتميزن بالنفوذ والسلطة أمثال الملكة الكاهنة التي عرفت بمقاولتها للفتوحات الإسلامية أثناء فتة حكمها.

بالمقابل وجدت قبائل بربرية كان وضع المرأة فيه على أعلى درجة من الرقي و الاحترام كما هو الحال لدى مجتمع الطوارق و الذي يعتبر مجتمعا أموميا أي ينسب أطفالها إليها.

ولما جاء الإسلام و من خلال نصوصه غيّر من وضع المرأة و رفع من شأنها فإذا نظرنا إلى النص وجدنا أن هناك مساواة دينية بين الرجل و المرأة و مساواة في المسؤولية و الجزاء حيث تخاطب النساء كما الرجال "إن المسلمين و المسلمات والمؤمنين و المؤمنات و القانتين و القانتات و الصادقين و الصادقات و الصابرين و الصابرات و الخاشعين و الخاشعات و المتصدقين و المتصدقات و الصائمين و الصائمات والحافظين فروجهم و الحافظات و الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات أعد الله لهم و مغفرة و أجرا عظيما "[2]. كما أن النص القرآني لا يحمل حواء خطيئة آدم كما هو في اليهودية و المسيحية، إنما الخطيئة من نصيبهما مع بعض "و يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة فكلا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (19) فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءاتهما و قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا

[1]–المرجع نفسه ص26

[2]–الآية 35من سورة الأحزاب

ملكين أو تكونا من الخالدين (20)"[1]، " من عمل عملا صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحنيه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"[2]، " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"[3].

كما نجد بالسنة النبوية كذلك تصريح من خلال العديد من الأحاديث " النساء شقائق الرجال" "طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة" " الجنة تحت أقدام الأمهات" ، هذه المساواة الدينية برأينا وجدت لتكون أصلا و مرجعا للمساواة في الحقوق و الواجبات و المسؤوليات على أرض الواقع، و في كل المجالات.

لكن بقي النص تحت سلطة التأويل الذكوري، إننا نرى أن التأويل الذي حدث وفسر النصوص لم يتم هكذا عبثا ، إنما تغذى مما هو معاش اجتماعيا و اقتصاديا و ثقافيا وهذا ما أنتج تعددا في التأويل وبالتالي تعدد في الأفكار، المذاهب والخطابات والإيديولوجيات والتي أخذت على عاتقها كل ما يخص المرأة و يتعلق بها و هذا بعيد بطبيعة الحال عنها و عن تأويلها فلا نجد مثلا نساء تولين مسائل التفسير و الفقه ..الخ وبقي هذا المجال حكرا على الرجال و هو ما أنتج خطابات كرست الهيمنة الذكورية بغطاء ديني ، ما أثر على وضع المرأة بالعالم الإسلامي ككل ، وهذا ما يذهب إليه أركون حين رأى أن هناك أشكالا من الوعي تنسب إلى القرآن مسؤوليات تتعلق بمواقف و ممارسات أصحاب النفوذ الاجتماعي خلال التاريخ خاصة أثناء عصور الانحطاط وخاصة بالقرنين 19و 20 كما يرى أركون أنه لم يكن يوجد إسلام فقط بل كذلك أنقاض و بقايا مختلف الخطابات الاجتماعية القديمة التي تسربت إليها...الخ [4].

---

[1]–الآية 19 من سورة الأعراف

[2]–الآية 97من سورة النحل

[3]–الآية 13من سورة الحجرات

[4]–جيزل حليمي مرجع سابق ص 59و 60

في نهاية القرن 19 بدأ العالم الإسلامي الذي كان تحت حكم الدولة العثمانية يتأثر بالغرب وبأفكار الثورة الفرنسية ، فبدأت تتبلور العديد من المفاهيم منها مفهوم الوطن، الحرية، ...الخ ولم تكن المرأة بمعزل عن ذلك حيث ظهرت خطابات تنويرية بمصر وببعض الدول العر بية و الإسلامية نحاول إخراج العرب من التخلف و هذا لا يتأتى طبعا إلا بإخراج المرأة من سجنها[1].

نذكر من بين هؤلاء قاسم أمين محمد عبده و رفاعة الطهطاوي أما بالمغرب العربي نجد الطاهر الحداد هذا رجل الدين خريج الزيتونة يصدر كتابا يصدر متابا ثوريا غير فيه وضع المرأة تغييرا جذريا مستندا إلى النصوص و إلى وضعيتها الاجتماعية التي تعايشها كأحكام الإرث و الزواج و الطلاق و الحجاب الذي هاجمه.

هذه الخطابات التنويرية لم تجد كل الآذان الصاغية بطبقات كل المجتمع وشرائحه، لكن وجدن نساء تمردن على مجتمعهن الذكوري فألقين الغطاء، كهدى الشعراوي وهي أول مصرية ألقت بحجلها و أيضا خروج بعضهن إلى العمل و خاصة مع موجة الاستعمار التي عرفتها بعض الدول حيث أحدث تغيرا و زعزع العديد من القيم التي كانت سائدة.

ولم تطن المرأة الجزائرية بمنأى عن ذلك فمن جهة نجد العديد من الكتابات التي تناولت وضعيتها من أمثلة ذلك ما كتبه "ارنست ميرسيي "بكتابه المرأة المسلمة في شمال إفريقيا و كذلك لويس رين بكتابه المرأة البربرية و كذلك جارمان تيون بكتابها المشهور Le Harem et les cousins حيث تناولت وضعيتها والعادات والتقاليد وأدوارها بمجتمعها في ظل الشريعة و الأعراف[2].

[1] – Sophie Bessi , les arabes , les femmes, la liberté, Édition Albein Michel , 2007. France P12-13

[2] – أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ط2 الجزء 4 دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 2005ص116

من جهة أخرى و على أرض الواقع و بمجيء الاستعمار بدأت بعض المشاريع الأوروبية بقيادة نساء أوروبيات بخلق مدار و دور من شأنها تعليم المرأة المسلمة في الجزائر ففتحت ورشات خياطة بالإضافة إلى تعليم البنات أصول القراءة والكتابة و الحساب و هذا كان برعاية من السلطات الرسمية الفرنسية[1].

لكن ذلك لم يغير شيئا من وضعية المرأة الجزائرية التي كانت تعاني الجهل والأمية وقيود المجتمع، و بدأت السلطات الفرنسية بخلق قوانين جديدة تخص المرأة الجزائرية المسلمة خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية و فترة الثورة الجزائرية حيث تتضمن في مجملها أنها تريد تحريرها و إخراجها من الوصاية الأبوية لكن كان ذلك إلا بهدف ضرب الثورة الجزائرية و جبهة التحرير الوطني خاصة و أن المرأة كان لها دور مهم بالثورة، هذه الأخيرة نجحت باستقطاب النساء من مختلف الشرائح الاجتماعية سواء كن بالأرياف أو المدن و بالخصوص بعد 1956 و ذلك بعد أحداث 19 مايو 1956[2] حيث برز دورهن خلال حرب المدن و معركة الجزائر.

وبالموازاة مع ذلك ظهرت مجموعة من النساء تمردن على وضعن خصوصا الغطاء الذي كان يتجلى في الحايك و قمن بإحراقه في حركة 13 مايو من بينهن ربيحة كبتاني و نفيسة قارة و غيرهن [3] ، مع أن مسألة الغطاء لم تكن إشكالية كبيرة بتلك الفترة حيث كانت العديد من النساء و بالخصوص الطالبات و المناضلات دون غطاء[4].

لكن كل هذا لم يجعل النساء يتحررن كليا من قيود الأبوية و السلطة الذكورية.

---

[1]- المرجع السابق، ص 118-127

[2]-صالح بلحاج ، تاريخ الثورة الجزائرية ، دار الكتاب الجديد ، الجزائر ، 2008 ، ص 262

17- Diane SAMBRON, La politique d'émancipation du gouvernement Français à l'égard des femmes algériennes pendant la guerre d'Algérie, in: Jean-Charles JAUFFERT, Des hommes et des femmes en guerre d'Algérie, Actes du Colloque international des 7et 8 octobre2002 , Paris: Edition Autrement ,2003 ,p233.

[4]- مريم مختاري،سيرة مجاهدة،الجزائر:منشورات وزارة المجاهدين، 2005،ص 17.

بعد الاستقلال و خصوصا فترة السبعينيات والثمانينيات سجل ببلاد المغرب انبثاق لجيل جديد من الحركات النسوية والتي ولدت جراء تعليم البنات وولوجهم العالم الخارجي من خلال العمل و الدراسة[1] وأيضا مخلفات الثقافة الفرنسة فكما هو معروف أن هناك ارث لائكي آنذاك[2].

لكن بنهاية الثمانينيات ومطلع التسعينيات ظهرت حركات أصولية بالمجتمع الجزائري تطالب بعودة المجتمع إلى التقاليد الإسلامية متأثرة بتيارات من بينها تيار الإخوان المسلمين والتيار والوهابي السعودي، هذه الحركات جعلت من موضوع المرأة موضوعا مركزيا وقد أقنعت به الكثيرين من الرجال بإرجاع نساء بيتهم إلى الإسلام الحق و أقنعت به كذلك الكثيرات من النساء و كان ظهور الجبهة الإسلامية للإنقاذ دور في ذلك حيث كانت تقوم بتوزيع الأغطية و هو الحجاب الشرعي على الطريقة الإخوانية مجانا كما كانت تقوم بفرضه من خلال معاقبة السافرات[3].

إنها مرحلة الإسلام الأصولي بشتى أنواعه و الذي كان له دور في تشكيل أوضاع معينة للمرأة و هذا هو مقصد بحثنا الذي تناولناه ميدانيا.

3. المرأة و الغطاء (الحجاب) بين السياق التاريخي و السوسيوثقافي:

لم يكن الغطاء معروفا فقط عند النساء العربيات أو المسلمات، إنما وجد في عدة حضارات في اليونان كما في الهند،و بالديانات السماوية الثلاث، فبالإضافة للمسلمات وجد كذلك عند اليهوديات و المسيحيات الأوائل، بحوض البحر الأبيض المتوسط، بالشرق الأوسط و شمال إفريقيا، عند الكورسيكيات ، السردينيات و الصقليات ...الخ [4].

[1] - Sophie Bessi IBID P 101-102-

[2] –MarcFerro op.cit. p175

[3] - Sophie Bessi, op.cit. P103

[4] -Juliette Minces ; la femme voilée ; Édition Calman- Levy Paris 1990 p 92

وقد أشارت إحدى الدراسات التاريخية للمجتمعات الإسلامية في فترة القرنين 10 و13 ميلادي و التي قام بها علي المظهري في كتابه: La vie quotidienne des musulmans au moyen âge (10ieme -13ieme siècle) أن الغطاء كان يميز النساء اللواتي تنتمين إلى الأسر ميسورة الحال والبورجوازية..

وقد جاء الإسلام كذلك بفرض الغطاء من خلال عدة آيات قرآنية تحث فيها المسلمين بتغطية نسائهم، و أراد النبي عليه الصلاة و السلام نشر هذه العادة بين جموع المؤمنات لأن الحجاب شرف لهن بفضل إيمانهن بالله و رسوله و بالإسلام وهو علامة على الزهد و التقشف[1].

لكن مع مرور الوقت فقد الغطاء هذه الدلالة الروحية المتميزة ، و أصبح علامة و دلالة على التحضر خاصة ببلاد المغرب و قد أوضحت دراسات أنثروبولوجية ذلك منها عمل جارمان تيون في كتابها « Le harem et les cousins » وكذلك الكاتبة المغربية غيثا خياط حيث أوضحت أن القرويات بالمغرب لا يقمن بحجب أجسادهن لكن يفعلن ذلك مثلا إذا ما توجهن إلى المدينة[2] والحال نفسها كان ببعض المناطق الجبلية الريفية في الجزائر حيث كن يزاولن بعض النشاطات الفلاحية و غيرها خارج المنزل و كن لا يحجبن أجسادهن، حيث كان الكشف عن الساق أو الذراع و الرقبة أمرا عاديا عكس ما كان سائدا بالمدن خاصة الحضرية منها كتلمسان و الجزائر العاصمة أين كانت النسوة لا يخرجن إلا لضرورة وبوضع غطاء و المتمثل في الحايك مثلا و هو نوع من الأغطية الجزائرية ذات لون أبيض، بالإضافة إلى أنواع أخرى والتي تختلف باختلاف المدن كالملاية السوداء المعروفة بالشرق و الإزار المعروف ببعض مناطق الصحراء و غيرها

[1] -Ghita Khayat , op.cit. p20
[2] -ibid p 26

من الأغطية التي ارتبطت بالثقافة المحلية، فالمرأة الجزائرية كانت تضع الحايك أو الملاية السوداء و حتى الجلابة المغربية أو الزي الغربي خصوصا في فترة ما بعد الاستقلال.

لكن ومع تنامي و صعود التيارات الإسلامية بالجزائر خلال فترة التسعينيات وبعدها ظهرت أنواع جديدة من الحجاب و هي دخيلة على الثقافة الجزائرية مثال ذلك حجاب الأخوات المسلمات و هو مشرقي ارتبط بتنظيم سياسي ديني.

ثم ظهر حجاب حداثي يولي أهمية كبرى للموضة و ليس مهما أن يستر أو يحجب كل مفاتن و جسم المرأة.

اللباس الآخر وهو ما ارتبط بنمو الظاهرة السلفية الوهابية بالجزائر وهو ما يسمى بالجلباب، إنه عبارة عن غطاء كلي يحجب كل المرأة و حتى و جهها و يديها، غالبا ما يكون بلون أسود ارتبط أولا بالثقافة والوهابية السعودية لكن سرعان ما انتشر إلى العديد من دول العالم الإسلامي و حتى بأوربا و الولايات المتحدة الأمريكية. كنتيجة لانتشار الايدولوجيا الوهابية.

إن هؤلاء ينفون صفة الشرعية على كل أنواع الحجاب الأخرى.

الفصل الثالث

المقاربة الميدانية

ميدان الدراسة:

أجرينا دراستنا بمدينة تلمسان و كان ذلك بثلاث مساجد:

مسجد دار الحديث، و مسجد السنة، و مسجد أبو عبيدة، و قد ركزنا على مسجد دار الحديث بشكل أكبر .

كما شمل ميدان الدراسة أيضا بعض الحفلات(الأعراس)، حلقة دينية بأحد المنازل، منازل بعض المبحوثات، و حتى بالأسواق، و هذا لأجل الإحاطة قدر الإمكان بالميدان لفهم الظاهرة

تمهيد:

الظواهر الاجتماعية لا تولد من عدم، ولا دون أسباب أو ارتباط بظواهر اجتماعية أخرى، فكل الظواهر الموجودة بالمجتمع، والتي تحدث داخله، لها علاقة ببعضها البعض، فنحن نؤيد فريق العلماء والباحثين الذين يعارضون النظرة الانفصالية الجزئية، التي تدرس الظواهر الاجتماعية بمعزل عن ظواهر اجتماعية أخرى.

ومن هذا المنطلق، فإن الحالة الدينية أو الظاهرة الدينية ليست إلا جزءا من حالة أعم[1] ، وهي الحالة الثقافية، الاقتصادية، السياسية والاجتماعية...الخ، فهي انعكاس لها ووسيلة للتعبير عنها كما هو الحال بالنسبة للتدين.

ولازلنا نتجنب النظرة السببية القطعية والشرطية التي مفادها أن الظاهرة الاجتماعية (التدين) تحدث نتيجة تواجد وتوفر شروط معينة ومحددة والتي هي في بحثنا، الوضع الثقافي، الاقتصادي، والاجتماعي، إننا نراها من منطلق كونها أوضاع تسهل اتخاذ وتبني نماذج تدينية معينة والتي هي في بحثنا التمسلف.

[1] حسن حنفي ،الدين و الثقافة والسياسة في المجتمع العربي .دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة 1998 ص 232

الوضعية الثقافية للمبحوثات – المستوى الثقافي

يعتبر الوضع الثقافي أو المستوى الثقافي للمبحوثات عاملا مسهلا في تبنني واختيار التمسلف كنمط تديني، وعندما نقول" ثقافة"، أول شيء نصطدم به، تعدد التعاريف، كثرتها واختلافها، فلا يوجد في العلوم الإنسانية والاجتماعية تعريف جامع مانع، وموحد بين جمهور العلماء والباحثين، شأنه شأن العديد من المفاهيم والمصطلحات، ولأنه ليس بإمكاننا الإلمام الشامل بكل التعاريف التي جاءت في حقل العلوم الاجتماعية – لأن ذلك سيقودنا إلى متاهات لا مناص للخروج منها– فسنكتفي فقط بذكر مثالين على الأكثر لأهميتهما في دراستنا.

سنتوقف بصفة خاصة عند تعريف تايلور للثقافة، وهو التعريف الأكثر شيوعا في العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، أين يعرفها على أنها " ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة، المعتقدات، الفن، و الأخلاق، القانون،العادات، وكل القدرات والعادات الأخرى، التي يكتسبها الإنسان، بوصفه عضوا في المجتمع "[1]

كما سنتوقف أيضا عند المثال الفرنسي في استخدامه لمصطلح ثقافة، وسنتكلم بانتقائية، بحيث لا نستطيع التعمق في الصيرورة التاريخية التي كونت المفهوم في اللسان الفرنسي، أين كان لمفكري الأنوار دور في تطور الكلمة خاصة في القرن 18ميلادي، وعليه فان اللفظ "ثقافة" "اقترن بأفكار التطور و التقدم، التربية، و العقل ،التي احتلت مركز القلب "[2].

ظل هذا المصطلح يتداول عند الباحثين الفرنسيين بهذا المقصد الذي وضحناه والذي لم يكن يعني إلا مجال الفكر و النخبة، فثقافة الأفراد تدل على مستوى تربيتهم

[1]- ميشيل توميستون ومجموعة كتاب، نظرية الثقافة ، ترجمة علي سيد الصاوي ،لمجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت ص 9

[2]-دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان . الطبعة الأولى.2007 ص 18

وفكرهم ووعيهم، والفرد المثقف هو من يتمتع بفكر ووعي و تربية، ومن هذا المنطلق فان ذلك لا يكون إلا عن طريق التعليم بالدرجة الأولى.

إن ذكرنا لهذين المثالين له ما يبرره ، فنحن نرى أن الوضع الثقافي يشتمل على التعليم، الفكر، و الوعي و اتساع لا بأس به في مختلف المعارف و العلوم، وهو ما يقترب من المثال الفرنسي و كذلك يقترب بما جاء به تايلور، في جزء من تعريفه "...المعرفة...و القدرات التي تكتسب..." و نحن نرى أن الحالتين من وعي فكري ومعرفة وقدرات تكتسب تحصل بشكل أساسي من التعليم باعتباره محركا أساسيا للدينامكية الثقافية[1] في المجتمعات، و محررا العقل، من الخرافات والتفسيرات غير العلمية و اللامنطقية، مكونا للفكر النقدي وتقبل الآراء و عدم التعصب.

وقد قسنا الوضع الثقافي في بحثنا هذا، من خلال المستوى التعليمي، أي الشهادات المحصل عليها خلال المسار الدراسي للمبحوثات ، الذي اتخذناه مؤشرا أوليا لقياس هذا المستوى، ولا يتوقف الأمر على التعليم فقط ، فالثقافة من المنظور الذي تبنيناه تحصل كذلك من مصادر أخرى، من بينها المطالعة و الإقبال على القراءة وكذا نوعية الكتب المطالعة ، حيث يساهم ذلك في اتساع المعرفة و رفع المستوى الفكري ودرجة الوعي والخبرات ...[2].

وقد أضفنا لذلك، المعلومات المحصل عليها من خلال وسائل الإعلام المختلفة كالقنوات التلفزيونية، والأشرطة و الأقراص المضغوطة، بالإضافة إلى المشاركة أو الحضور في الندوات أو الملتقيات العلمية أو الثقافية الفكرية و حتى الدينية.

[1]- مجموعة مؤلفين، إشراف عبد القادر جغلول، المرأة الجزائرية ، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1983ص79

[2]-علياء شكري و آخرون ،المرأة و المجتمع ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 1998 ص 257

ومن خلال مقابلاتنا مع المبحوثات وجدنا جميعهن توقف مسارهن التعليمي قبل تبني السلفية كنموذج تديني أي قبل التمسلف (سبع مبحوثات مستوى ابتدائي , اثنتين ثانوي و ثلاث مبحوثات بالمستوى الإكمالي)مع محاولة بعضهن العودة إلى الدراسة عن طريق المراسلة لكن دون جدوى خاصة بعد التمسلف.(حالة واحدة).

أما فيما يخص المطالعة باعتبارها وسيلة من وسائل التثقيف و التعلم و الوعي وكمصدر من مصادر اكتساب المعرفة و الخبرات فقد وجدنا أنهن يتجهن لمطالعة الكتب الدينية خاصة الكتيبات الصغيرة، أين تمثل لديهن قراءة القرآن و مشروع حفظه، الأذكار، والأدعية، المركز الأول، و تجمع على قراءتها جميع المبحوثات دون استثناء ,أما الكتب الأخرى خارج الاتجاه الديني فقد وجدنا أن أغلبية المبحوثات (بنسبة ثمان مبحوثات) لم يكن يمارسن فعل المطالعة خارج المسار التعليمي ، لكن مع بداية تدينهن و بعد التمسلف خاصة، أصبحن يطالعن الكتب الدينية التي كان لها الفضل في هدايتهن على حسب تعبيرهن، و تمثل الكتب التي تركز على المرأة (لباسها , حجابها و زينتها ...) وكل ما يتعلق بها من الناحية الدينية ، مثال ذلك كتاب جلباب المرأة المسلمة لناصر الدين الألباني، النسبة الأكبر مع كتب أخرى و هي كتيبات صغيرة تخص مواضيع العقيدة والتوحيد، من أمثلة ذلك كتاب التوحيد والأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب و هو عبارة عن مختصر للكتاب الأصلي, 500 سؤال عن العقيدة لابن باز و آخرين ..وكتب أخرى تخص أمور العبادات و أركان وفرائض الإسلام و أجوبة عن ذلك، ككتاب تحفة الإخوان لعبد العزيز بن باز ...و كلها كتب تتداول عن طريق الإهداء، الإعارة و أحيانا الشراء.

وتعتمد المبحوثات كتبا ذات مرجعية دينية سلفية وهابية، و هذا من خلال ما حصلنا عليه من أجوبة و كذا من خلال ما لحظناه، حيث و في مقابلة جماعية أجبن أنهن يعتمدن لجنة الإفتاء[1] و هي من تمثل أهل السنة الجماعة.

[1]- لجنة الإفتاء تضم مجموعة من شيوخ الوهابية السعودية .

تأتي كتب أخرى ككتب الطبخ المنزلي و أخرى للخياطة والحياكة، و تمثل درجة لا يستهان بها ، حيث هي الأخرى تتداول من خلال الإعارة و النسخ أو الشراء، حيث أن نصف المبحوثات لهن اهتمامات بها، خاصة و أن الدور الرئيسي لهن و المتوقع منهن هو ربات بيوت.

لا حظنا كذلك توجههن نحو الأشرطة و الأقراص المضغوطة التي تخص التدين السلفي، –دون غيرها من الأشرطة الفنية الموسيقية مثلا– ، و التي هي كذلك مصدر مهم للحصول على المعلومة الدينية السلفية و التي تركز على الحجاب أو الجلباب، الفتن، مضرات الاختلاط ، عذاب القبر و حياة البرزخ ...

تقول إحدى المبحوثات "كانوا الأخوات يسلفو لي.... ومرات كنت نشري و كي نسمعهم نمدهم لوحدخرين باش نكسبو الأجر...."

"....نبغي نسمع.....خير ملي نقرا ...تتأثري خير ملي تقراي و تفهمي ..."

كما تلعب وسائل الإعلام، خاصة القنوات التلفزيونية، دورا مهما في تثقيف الجماهير والأفراد وتزويدهم بمختلف المعارف في مختلف المجالات، خاصة وأن التلفزيون اليوم قد أصبح متاحا للجميع و لمختلف الشرائح الاجتماعية و الطبقية، والذي أصبح يلبي كل الأذواق و التوجهات ، فوسائل الإعلام و خاصة التلفزيون، أضحت تعادل أهمية المدارس و الجامعات في إقامة مجتمع المعرفة [1] و قد كتب احد الباحثين قائلا " إن قدرة الإعلام على الإقناع... أقل بكثير مما يجري عادة، لكن قدرته على التثقيف هائلة"[2].

ولأجل ذلك اتخذناه كمؤشر آخر دال على الوضع الثقافي، وقد أوضحت المقابلات أن المبحوثات كانت لهن اهتمامات عامة قبل التمسلف كمشاهدة المسلسلات بالدرجة الأولى وغيرها من البرامج الترفيهية، بالإضافة إلى القنوات الدينية، ولم التي تكن تخص

[1]- أنتوني غيدنز ، علم الاجتماع ،ترجمة فايز الصباغ ، مرجع سابق،ص 503

[2]- هاني الرضا و آخرون ، الرأي العام و الإعلام و الدعاية . الموسوعة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع الطبعة الأولى لبنان 1998ص96

تيار أو اتجاه أو تيار ديني معين، فالإعلام الديني بالنسبة لهن و حسب تصوراتهن قبل التمسلف لم يكن مختلفا، فجله يشرح و يجيب عن أسئلة المسلمين التي تخص شؤونهم الدينية العامة و الخاصة، لكن بعد تمسلفهن جرى إقصاؤهن لكل القنوات التي لا توافق التيار السلفي الوهابي، و تقول إحدى المبحوثات"...تعرفي هذاك طارق سويدان وعمرو خالد ...الله يهديهم ...لوكان تسمعيهم بقصص الأنبياء لي كانوا يفوتوهم في رمضان ...أه بصح ناضولهم شيوخ السلفية ...هادوك القنوات خطيك منهم ...يجيبوا قصص ويضلوا بها الغاشي...و ما نسا لي يجيبوهم ...المراة فقنوات دينية زيدي لبسة و الماكياج ههه...". أما اثنتين من المبحوثات و هن أعلى مستوى من البقية من ناحية امتلاك المعلومة الدينية التي تخص الايديولوجيا السلفية خصوصا الحالة"ع" التي تعتبر المرجعية لهن، أجبننا بعدم مشاهدة التلفزيون بتاتا، لاقتناع ديني منهما و هذا بطيعة الحال بعد تمسلفهن.

أكدت المبحوثات بنسبة عشرة، مواظبتهن على بعض القنوات التلفزيونية الخاصة بتلاوة القرآن، كالمجد وعلى حصص وبرامج مقدمة من قنوات خليجية، كالراية، الناس، البداية و هي قنوات ذات اتجاه سلفي و هابي.

ولا يتم اختيار القنوات عبثا، بل يساهمن في توجيه بعضهن على بعض البرامج التي يجب متابعتها دون غيرها, أين يجري الاهتمام دوما ببرامج تعلم أمور العبادات، ومواضيع تخص المرأة و تجيب عن الأسئلة من المنظور الحنبلي ....و بالتالي التركيز فقط على القنوات ذات الايديولوجيا السلفية الوهابية.

كما أضفنا الندوات أو الملتقيات الفكرية، العلمية أو الثقافية...الخ ،فهي فرصة لتثقيف الأفراد من خلال ما توفره من جو للتفاعل و للنقاش و الجدال الذي يكسبهم معرفة ووعي. و من خلال المقابلات ، فقد أجمعن على عدم حضورها لا قبل التدين و لا بعده، ماعدا الحلقات الدينية التي تتم داخل المساجد أو خارجها.

و بما أن المبحوثات لم يكملن تعليمهن و لا يقرأن إلا في مجال محدد و الذي وضحناه من خلال ما سبق و لا يتم حضورهن و لا مشاركتهن لما يقام من ملتقيات أو ندوات ما عدا بعض الحلقات الدينية التي تقام في بعض المساجد أو خارجها فانه من السهل القول أن مستواهن الثقافي ضعيف ، حيث لم تتح له فرصة التكون ، لكن لم يكن بإمكاننا الحكم إلا بعد حضور مكثف و دائم للحصص المسجدية و الاحتكاك المباشر بهن و الا ستماع إلى خطاباتهن و ملاحظة ممارساتهن ،ففي إحدى الحلقات و التي كانت بيوم 2010/04/10 تتدخل الحالة "ع" و التي تعتبر مصدر و مرجعية دينية سواء للمبحوثات او غيرهن (سيتم التطرق إليها في العنصر اللاحق) حول موضوع يخص ظاهرة عقوق الوالدين لتفسر الحالة "ع "و كلها ثقة بأنها تملك الجواب الحق مع انبهار كلي لمن يحطن بها ،أن سبب الظاهرة هو" إن الولد ابن حرام فلعله ابن حيض أو نفاس ...هناك خلل منذ الأول ...".

من هذا التفسير لمن تعتبر الزعيمة و لو رمزيا للجماعة و للمبحوثات على وجه الخصوص نستنتج و بوضوح غياب التفكير العلمي الذي لا ينم إلا عن قصر كبير في معرفة حتى بالبديهيات العلمية، فكيف لجنين يتكون في هاتين المرحلتين؟

و تقول إحدى المبحوثات كذلك أن سبب زنا المحارم " النسا يلبسو لباسات عريانين قدام خواهم و باتهم ..."

" ...كل شي يبدي بالمصافحة ...و لى الخطيب او الزوج يسلم على ختها ...و من بعد نسقسيوا و نهدروا علاش صابو الاخت مع خطيب ختها بعلاقة غير شرعية ...."

هي عبارة عن أجوبة تبين لنا أنهن لا يملكن رؤى منطقية لما يجري حولهن و ما يجري بالواقع و تفسيراتهن ساذجة لا معنى لها بسبب نقص معرفي و مستوى ثقافي ضعيف جدا و على هذا الأساس يمكننا الحكم إذن أن المستوى الثقافي للمبحوثات على أنه ضعيف و منخفض و هذا بدوره ما يسهل الدخول و تبني التمسلف كنموذج تديني.

المستوى الثقافي للمبحوثات و التمسلف

لقد عرضنا إذن ما نقصده بالمستوى الثقافي ، وقدمنا المبررات لذلك ، كما عرضنا الوضعية الثقافية لـلمبحوثات ــ تعليما ، مطالعة ، و تحديد وسائل الإعلام المتابعة و كذا حضور و مشاركة الملتقيات أو الندوات (الحلقات الدينية) و قد اتضح من كل ذلك أن المستوى الثقافي للمبحوثات ضعيف و منخفض.

و يبقى المستوى التعليمي المؤشر الأول والهام الذي اعتمدناه في دراستنا للحكم على الوضعية الثقافية لهن ، فالتعليم الذي توقفت عنه جميع المبحوثات –أين غالبيتهن توقف مسارهن التعليمي بالمستوى الابتدائي– قد ضيق المجال و الفضاء الذي كانت تشغلنه ، فقد أزيح التعليم و أزيحت المدرسة و أصبحت ساعات التعليم ما هي إلا ساعات فراغ تقضى أغلبها بالمنزل، الذي أصبح بدوره الحيز الرئيسي لهن " كي ريضت القراية ...حسبت روحي درت الفايدة ...قعدت فالدار لا طلعة و لا هودة ".

هذا الفراغ ملأت جانبا منه خطابات الإرشاد و الوعظ الديني السلفي الوهابي من خلال عدة مصادر– التي أوضحناها سابقا – تتداخل أغلبها فيما بينها و تتكامل، خاصة وسائل الإعلام كالقنوات التلفزيونية الخليجية و الموجهة لخدمة الايدولوجيا السلفية

الوهابية " كي نكمل صوالحي نتاع الدار ...نمشي نتفرج ...اليوم راهم كاينين قنوات يوريوا الدين و العقيدة الصحيحة ماشي كي بكري ...غير لي مابغاش ...".

إضافة إلى تداول الكتيبات والتي أشرنا إلى بعضها فيما سبق، تقول إحدى المبحوثات "كي قعدت فالدار عادا بديت نطالع ....نطالع الكتب الدينية ....مرة ولد خالي سلف لي جلباب المرأة المسلمة كي قريتو حسيت راسي مانيش لابسة ...أعملت الجلباب .." – و قد رافقنا هذه المبحوثة فترة زمنية أين كان اللباس المتجلي في الجلباب الخطوة الأولى في تمسلفها – خاصة و أن الخطاب السلفي الوهابي مع أننا لسنا بصدد تحليله بل فقط من خلال بعض الأدبيات التي تتداول بين المبحوثات و من خلال الحلقات الدينية التي حضرناها لا يتطلب جهدا علميا أو فكريا عقليا للانخراط فيه، فهو يعطي مجموعة من النصوص و الأحكام التي يجب إتباعها دون نقاش، و هي في مجملها تخص أمورا جزئية (لباس المرأة و زينتها و عملها ...و أجوبة عن العبادات و فرائض الدين ...) ، مبتعدين كل البعد عن القضايا العامة التي تخص المجتمع الإنساني ككل بكل طوائفه.

من هذا المنطلق، وبما أن المبحوثات من ذوات المستوى الثقافي الضعيف، بافتقادهن لمؤهلات علمية فكرية ...و أدوات عقلية للتحليل و التمييز، فان ذلك يستغل من طرف وسائل الإعلام المختلفة (القنوات التلفزيونية ،الأشرطة و الأقراص المضغوطة) و الكتيبات الدينية ذات الايديولوجيا السلفية التي استحوذت على العقل و تستحوذ عليه – هذا من خلال ملاحظاتنا – الذي لم تتح له فرصة التكون و النضج بوسائل تثقيفية متعددة على رأسها التعليم، و بالتالي نجد المبحوثات يتلقين وعيهن من خلالها، و هذا ما يسهل لهن الانخراط ضمن الايدولوجيا السلفية بتبنيهن التمسلف كنموذج تديني الذي يتجلى بالدرجة الأولى مظهريا (الجلباب) و كذا من خلال تمثلاتهن و خطاباتهن و ممارساتهن وهذا ما يؤكده الأستاذ برهان غليون حيث يرى أن الأفراد و الجماعات المفتقرين

للمؤهلات الثقافية –التي بيناها فيما سبق –غالبا ما يندرجون ضمن الجماعات الدينية التي تفتقد هي بدورها للوعي بالتاريخ[1] و هذا ما لاحظناه نحن أيضا خلال مواظبتنا على الحلقات الدينية التي كانت تقام بالمسجد أين الخطاب السلفي الموجه هناك لا يملك رؤية واقعية، منطقية و عقلانية(ابن حيض أو نفاس).

هذه الحلقات التي تقام داخل المساجد و خارجه تلعب دورا مهما في تبني نموذج التمسلف كنموذج تديني لذوات المستوى الثقافي الضعيف.

لقد اقتصر حضورنا على تلك التي تقام داخل المسجد، لكن ليس بطريقة علنية بل على هامش الحلقات الدينية الرسمية للدروس المسجدية ، فلقد لا حظنا أنها وسيلة اتصالية فعالة بين الأفراد و الجماعة ككل ، بحيث توفر الاحتكاك المباشر لهن لدرجة يمكن اعتبارها الركيزة الأساسية للتمسلف لما لها من دور في صنع التمثلات و تكوين الآراء، ووجود ركيزة للجماعة يسهم في ذلك ، حيث تمثل المبحوثة "ع" المرجعية التي توجه و تجيب عن الأسئلة ، سواء من الناحية الدينية أو الحياة بصفة عامة ، و تعطي المواعظ ... هي المعلمة ،الملقنة و المفتية في العديد من المسائل و بالرغم من وجود مرشدة دينية رسمية للمسجد إلا أن لها مكانة موازية و تفوق المرشدة الرسمية لما تمتلكه من رصيد معرفي و أسلوب خطابي جذاب و لغة سليمة قوية تدغدغ المشاعر و تجيشها ، فقد كانت تستخدم أثناء تدخلاتها و إجاباتها عن الأسئلة فقهاء السلفية و ما يراه أهل المذهب الحنبلي فقط ولطالما كانت في مواجهة مع من يمثلن الخطاب الرسمي، اللواتي كن يحدن من نشاطها و يكبحنها، و هي بدورها كانت تعلق و لا توافقهن، خاصة عند اعتمادهن لعلماء دين غير الاتجاه السلفي الوهابي أمثال الغزالي و القرضاوي، لكنها لم تكن تصرح بذلك علنا بل تكتفي فقط بإقناع من هن حولها بخطأ و لا أحقية الخطاب الموجه أثناء الدروس الرسمية أو غيرها.

[1]- برهان غليون ، نقد السياسة الدولة و الدين، المركز الثقافي العربي المغرب و لبنان الطبعة الثالثة 2004ص388

تعتمد الحلقات الدينية أسلوب التلقين النصي فقط ، دون المناقشة ، المجادلة أو التشكيك بما تتضمنه ، بل فقط تلقي المعلومة " الدينية ، السلفية " التي تمثل لهن الحقيقة المطلقة فهي من مصدر لا يمكن التشكيك فيه و تعتبر تعاليمها معطى سكونيا، تقول إحدى المبحوثات " ...هذا قول الشرع و الدين ...".

"الأخت "ع" نعرفها ملي كنت صغيرة....كانت قدوتي ...وكي صبتها هنا فالمسجد فرحت...." كما تقول إحدى المبحوثات إن علي التوجه إلى الأخت "ع" إذا ما أردت الاستفسار فالحالة "ع" لها حضور قوي و كاريزما و سلطة معنوية روحية نابعة من سلطة الدين نفسه و محاطة بهالة من الهيبة و الاحترام المقترنة باحترام الدين ذاته[1]، و بالتالي مجادلتها أو مناقشتها هو مناقشة و تشكيك في الدين، ما يمثل إحدى الطابوهات التي لا يمكن تجاوزها.

وبما إن المبحوثات لا تملكن مستوى ثقافيا، تعودن إذن على تلقي المعلومة و نقلها و الأخذ بها دون إعمال الفكر و العقل ، فما بالك إن كانت المعرفة دينية ، إنها الحقيقة المطلقة بالنسبة لهن. و العديد من الحلقات التي واظبنا عليها لاحظنا وجود تفسيرات لا علمية و لا منطقية مثال ذلك ما جاء عند الحالة "ع" في تفسيرها لسبب عقوق الأبناء "أن الولد ابن حرام فلعله ابن حيض أو نفاس ...هناك خلل منذ الأول ..." . هذا التفسير الذي لم يلقى معارضة لأنه جاء في سياق التلقين ،الوعظ و الإرشاد الديني الذي يستغل بدوره بساطة التفكير وسذاجته (بالنسبة للمبحوثات) تحت عباءة ما هو ديني و مقدس ، ولا يقتصر هذا على الحلقات الدينية فقط بل كل الخطابات ذات الايديولوجيا السلفية (سواء من خلال وسائل الإعلام أو الكتب أو الحلقات...)، التي لا تجد مؤيديها بين ذوات المستوى الثقافي الضعيف فقط بل تدعمه و تشرعنه و تعمل على إضعافه كذلك من خلال دعوة

[1]- مجموعة مؤلفين، الإسلام و السياسة، مرجع سابق ص17

المرأة للبقاء ببيتها و عدم الاختلاط بالجنس الأخر سواء كان ذلك في الدراسة أو العمل، معتمدة في ذلك على سلطة النصوص أحيانا، و استحضار أمثلة عن ظواهر الانحلال و الفساد و ربطها بخروج المرأة من بيتها.

"المراة تكتفي على حساب ما تولي تعرف دينها و تقرا القرآن ...لا ...الجامعة فيها اختلاط ...حرام.."

" الجامعة فيها اختلاط ...و رأي العلماء واضح ..."

"أنا حياتي ضاعت كيما كملتش قرايتي ...الدراسة فيها اختلاط خاصة الجامعة ...". ما يدعو للتساؤل أن مسارهن التعليمي توقف قبل التمسلف لكنهن يعطين تبريرا لذلك، و الحاجة للتبرير توفره الايديولوجيا السلفية، فتكون الاستجابة لها بتبني التمسلف نموذجا تدينيا الذي يعتبر أكثر من ملاذ وملجأ بعد الفشل الدراسي لأنه يوفر الغطاء الشرعي، لذلك تقول "ع" "في سياق ردها على سؤالنا الذي كان يخص مستواها التعليمي "...إن العلم لا يؤخذ بالشهادات و لا المدارس...و الصحابة و التابعون لم يتعلموا لا في جامعات و لا مدارس....كانت مدرستهم مدرسة النبي .."، هذا الجواب له دلالات عديدة من أهمها: الحاجة و البحث عن تقدير الآخرين لها، فهي تعلم أن المستوى الثقافي و الشهادات المحصل عليها و غيرها من الأمور توفر للفرد تقديرا اجتماعيا و احتراما من الآخرين، فهو اعتراف بقدراتهم و إمكانياتهم، لكن ماذا إن غابت ؟

تعني أن الصحابة و التابعين لم يتعلموا، و مدرستهم تتمثل في مدرسة النبي و بالتالي أنا أنتمي إلى مدرستهم بانتمائي إلى من يمثلون السلف و أنا على خطاهم بتمسلفي وهذا كاف لأن يعترف بي.

كما لاحظنا خلال فترة بحثنا تقوقع المبحوثات كمجموعة منعزلة عن الأخريات بالمسجد أين يمكن لأي أحد للوهلة الأولى تمييز جماعة من النساء تتشاركن بنفس المظهر تتقاسمن المكان بإحدى زوايا المسجد، و لا يمكن لأي واحدة تختلف عنهن أن تشاركهن الجلسة و إن فعلن فلفترة قصيرة أو يهمشن و هذا ما حصل معنا ، كما لاحظنا أنهن يقمن بإخراج من لا ترتدي لباسا لا يتوافق وقداسة المكان حسب تعبيرهن و خاصة غير المحجبات والشعور بالاختلاف عنهن و مكانتهن العالية من خلال حجابهن المتمثل في الجلباب " ...واش جاب وحدة مستورة لهاذوك الكاسيات العاريات ...المتبرجات ...". كما تتكرر عبارات يتداولنها كلما كن بحاجة لتبرير أي شيء كان دينيا أم اجتماعيا " أهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية". إنه عبارة عن وعي طائفي، طالما يرفضن الأخريات المختلفات عنهن، فنجد النظرة الاستعلائية عن غير المتدينات و المنتميات لايديولجيتهن، وهذا بطبيعة الحال كنتيجة لأزمة أخلاقية، و غياب خصوصا القيم العقلانية "فكلما ارتقى الإنسان وتطورت شخصيته انخلع عن الأطر الاجتماعية الضيقة و اندمج في العلاقات المجتمعية الواسعة" بابتعاده بطبيعة الحال عن الدوغمائية والطائفية التي تتغذى من وضع ثقافي متخلف.[1] يدعمه الخطاب السلفي بكل أشكاله ومصادره المتعددة ، تقول إحدى المبحوثات " الجلباب لي راني لابساتو هو المذكور فالقرآن ...لا يجوز شرعا لبسة من غيره ..." فحاولنا.. أن نعرف اتجاهها أكثر و قلنا لها أن هناك دعاة لا يشترطون الجلباب في الحجاب فردت " ...راك تعمل على عمرو خالد ...هذالك راه ضال الله يهديه ...تبعي أهل السنة و الجماعة واسم يقولوا "

[1]- محمد أركون، الفكر الإسلامي – قراءة علمية - ، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، المغرب و لبنان، الطبعة الثانية، 1996ص81

"...الإسلام نولد فالسعودية ..امالا نتبعوهم هوما و نتبعو لجنة الإفتاء هوما أهل السنة والجماعة ...و حتى الرسول (ص) يقول إن بني إسرائيل تفرقوا على، أحد وسبعين فرقة و أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة ..نجيبلك كتاب و قرايه و سقسي الأخت "ع"...".

إن الوضع الثقافي بكل مكوناته التعليمية، و المطالعات و غيرها تسمح للأفراد بتحقيق مكانة اجتماعية و تقدير المجتمع حيث يعترف بهم كفاعلين و مساهمين فيه ، كما يسمح ذلك أيضا باتساع أفق فكري ، علمي أخلاقي و تربوي و يبتعد قدر المستطاع عن الدوغمائيات مهما كان نوعها، لكن إذا ما غاب هذا، فان أي خطاب يمكنه الاستحواذ على العقول، خصوصا تلك الايديولوجيات التي لا تتطلب جهدا علميا و لا فكريا للدخول فيها، لكن في الوقت ذاته تستعمل النصوص الدينية و فق تأويل و منظور معين للاستقطاب، وبالتالي ذوات المستوى الضعيف من المبحوثات لا يمكنهن التمحيص و لا الاختيار طالما الخطاب هو ديني و الديني من بين الطابوهات التي لا يمكن التشكيك بها بمجتمعاتنا خ صوصا ، فتكون استجابتهن على شكل اختيار التمسلف نموذجا و نمطا تدينيا لهن.

الوضعية الاقتصادية أو الطبقية للمبحوثات :

كما أوضحنا فيما سبق أن فهم الظاهرة الاجتماعية، لا يتم بمعزل عن سياقها الثقافي، الاقتصادي والمجتمعي...الخ[1] هذا ما يراه العديد من علماء الاجتماع و الانثروبولوجيا، وغيرهم في حقل الدراسات الاجتماعية والإنسانية، مما يعني أن الظواهر الاجتماعية ليست بأبنية خالصة فهي جزء من المجتمع ونتيجة لتفاعل العوامل التي ذكرناها سابقا.

لقد قدمنا سالفا الوضع الثقافي – المستوى الثقافي – للمبحوثات و حاولنا أن نبرزه كعامل من العوامل ذات الأهمية في اختيار و تبني نماذج تدينية معينة و التي في بحثنا هذا تخص التمسلف.

هذه الأوضاع من ثقافية و اقتصادية و غيرها تتداخل فيما بينها وتكمل بعضها، فيصعب علينا أحيانا نحن كباحثين تفكيكها و ترتيبها، لكن العمل العلمي والمنهجي يتطلب منا التفكيك لأجل التنظيم.

في هذا المبحث سنستعمل مفهومي الوضع الاقتصادي والوضع الطبقي بنفس الدلالة ، لان هناك ارتباط بينهما ، فالوضعية الطبقية للأفراد والجماعات تتحدد على أسس اقتصادية في الغالب، فلقد وجدت الطبقات إذا ما رجعنا إلى التاريخ في العديد من المجتمعات، و قامت الفوارق الطبقية إما على أسس عمرية ، جنسية ، إثنية، أو دينية، ...الخ، و لكن كان الأساس الأول اقتصاديا أي على أساس الملكية و حيازة الثروة، ومع التقدم والحداثة التي عرفتها المجتمعات أصبحت الطبقة تضم مجموعة من الأفراد الذين يشتركون في موارد اقتصادية تؤثر على نمط معيشتهم و طرق تفكيرهم[2] كملكية رؤوس الأموال، بالإضافة إلى المهن و الوظائف، نوعيتها، المناصب و النفوذ وأحيانا النسب ...الخ.

[1]-مارسيا الياد ، الحنين إلى الأصول ، ترجمة حسن قبسي .دار قابس للطباعة و النشر لبنان .بيروت ط1 1994
[2]-انتوني غيدنز، ترجمة فايز الصباغ، مرجع سابق، ص 345

وفي هذا العنصر حاولنا الاقتراب من الوضعية الاقتصادية الطبقية من خلال وضع بعض المؤشرات و تتمثل في نوع العمل أو النشاط المهني أو الوظيفي الذي تمارسه المبحوثات وقيمة الدخل المحصل عليه إن وجد باعتباره أساسيا في الديناميكية الاقتصادية وموردا لتلبية حاجيات الأفراد.

نمط العمل أو المهنة أو الوظيفة الممارسة من طرف المعيل و دخله، سواء كان أبا أخا أو زوجا أو شخصا أخر.

المنطقة السكنية و نوعية السكن الذي تقمن به من حيث وضعيته و ملكيته.

وباعتبار العمل (المهنة) هو النشاط المهم في جميع الثقافات و المجتمعات وأساس الاقتصاد و واحدا من مؤشرات الطبقات الاجتماعية كونه يدل اما على حالة اكتفاء، رفاه أو حرمان، جعلنا منه المؤشر الأول في قياس هذا الوضع و تحديده، و من خلال الأجوبة التي حصلنا عليها من مقابلاتنا بالمبحوثات يمكن أن نميز بين العمل دون أجر والعمل بأجر أو دخل مالي، حيث يتمثل الأول في العمل المنزلي الذي يحتل الدرجة الأهم بالنسبة للمبحوثات وهو المركز الذي تتمحور عليه حياتهن كأعمال التنظيف و إعداد الطعام و تربية الأطفال ...و غيرها من الأعمال المنزلية التي تتم دون أي مقابل مالي، وهذا لا يقتصر فقط على المبحوثات إنما يشمل غالبية المجتمعات ذات السلطة الذكورية خاصة المجتمعات التقليدية و التي ترى أن هذا الدور هو طبيعي ، و المرأة التي لا تمتثل و لا تقوم بأ عمالها المنزلية هي منبوذة و محل تهكم من أفراد المجتمع.

" صوالح الدار صوالح المراه ...و التربية للمراة ..."

"... المراه لي ما تقومش بدارها و ولادها و راجلها ماشي مراة ..."

" ...لوكان حتى تخدم برا خدمة الدار تابعتها تابعتها ...واسم ؟ تمشي تقول لراجلها طيب و اغسل ..." .

وهناك بعض المهن الصغيرة الحرة مقابل دخل مالي، تتمثل في مزاولة بعض الأنشطة الحرفية والتي بدورها كذلك تتم داخل دائرة المنزل حيث وجدنا أربع مبحوثات تمارسن الخياطة والحياكة (la broderie) بالنسبة لهن يعتبر هذا النشاط نوع من الإنتاج اليدوي و الاقتصاد الحر والذي تتعاملن فيه مع النساء حيث لاحظنا أن زبوناتهن من المواظبات على المسجد ، " نخيط الجلابيب للأخوات و نعاونهم نقص فالسومة ..."

"... صوالح لي نخدمهم نبيعهم تقريبا غي هنا فالجامع ..."

هذا الدخل بالنسبة لهن ليس بالكثير ، فقط لتأمين بعض الأشياء و الحاجيات الصغيرة سواء للأسرة أو لهن " ...ماشي حاجة غنيمة بصح على الأقل مانطلبوش ركبتنا ...و لا cadeau تديه، ما تطلبيش ..."

" شريت منهم هذوك الأجزاء (للمصحف) نشري كتوبة لبنتي ...خير من والو .."

..." trousseau"...نقصت على با صوالح.

أما العمل خارج المنزل فاجمعن ماعدا واحدة على عدم ممارسة أي نشاط مهني أو وظيفة خارج المنزل سواء قبل التمسلف أو بعده. مبحوثة واحدة فقط مستقلة نسبيا عن عائلتها البعيدة عن مقر سكناها تعمل لأجل إعالة ابنيها بعد طلاقها فليس هناك من يعيلهم و زوجها لا يؤدي واجب النفقة ونظرا لضعف مؤهلاتها الثقافية و اليدوية تعمل كمنظفة بعقد"...لو كان تعلمت غير صنعة خير مدخلات و الخرجات... بصح على جال ولادي...".

ونظرا لطبيعة المجتمع الجزائري ذي السلطة الذكورية لا نستطيع أن نفصل الوضعية الاقتصادية – الطبقية – لأغلب النساء عن وضعية أسرهن و الحال نفسه بالنسبة للمبحوثات حيث لا يمكن أن نحكم على مستواهن الاقتصادي بمنأى عن مستوى و وضع المعيل لهن سواء كان الأب ، الأخ أو الزوج ...الخ كل حسب حالتها.

لقد وجدنا خمس مبحوثات يعتمدن على إعالة الزوج في كل شيء أو بنسبة كبيرة "...كل شي على راجلي ...مرات نشري شي صوالح يخصوا الدار و لا يخصوني ..." حيث يتمثل نشاط أزواجهن في تجارة صغيرة " عنده مكتبة سلفية ..." ، "...يدي ويوصل السلعة للناس ..." بالإضافة إلى عمال ليست لهم أنشطة محددة أو عمال مؤقتون يفتقدون للتأمين « ...يخدم لي جاه ...و مرة كاين ومرة لا.." يشتغلون أعمال مختلفة لتلبية حاجيات أسرهم الأساسية كالأكل والشرب والمأوى "...رانا عايشين باش ماكان ...نحمدو ربي ...".

"...رزق كفاية ..كاليين شاربين ساكنين ...إلى بغى يترفه غير وسخ الدنيا..."

خمس مبحوثات يعتمدن على إعالة الأب و أحيانا الأب و الإخوة، جل آبائهم من المتقاعدين أو من كانوا فلاحين و حتى من كانوا دون عمل مستقر، حالة مبحوثة واحدة تعتمد على إيواء الأخ هذا الأخير الذي يوفر لها المسكن أما هي فتعتمد على صدقة بعض " الأخوات " نظرا لمرضها، وهي بدورها تعيل الأخ و أبناءه " غي الأخوات يطموا لي ...جزاهم الله ...»،

مبحوثة واحدة تعتمد على إعالة الأم من خلال معاش الأب الذي تتقاضاه و تشاركها هي أيضا بنسبة منه كونها غير متزوجة.

أما عن الدخل فهو قليل بالنسبة لغالبيتهن لكن هن راضيات «..واسم ديري تخطفي...الحمد لله ...كاين ناس كثر منا ...على الأقل مستورين حتى وحتاجينا ...".

كما تمثل المنطقة السكنية، موقعها توزيعها وأنماط بنائها كذلك مؤشرا لقياس الوضع الاقتصادي – الطبقي للمبحوثات فغالبيتهن ينتمين إلى أحياء شعبية لمدينة تلمسان (الكدية، بودغن ، القلعة ، سيدي شاكر، سيدي سعيد، فدان السبع، القران، المدرس ..).

أما عن ملكية السكن و وضعيته فقد أظهرت الأجوبة و تباينت بين من يملكونه أي للعائلة أو لعدة ورثة بمعنى دار الجد و هناك من يؤجرونه

هاذي شحال " كاريين بيت وكوزينة. ... social رانا دايرين

" ...غار ما توصلهش حتى الشمس ...و زيد ضيق

" ساكنة في دار ختتي عاطيلنا جيهة ...قسمناها ودرنا الكوزينة غير ...لوكان كاين مدخول مليح نخرجو برا نكري ..نتهنا ..."

" شرينا بكري فالكدية ...كانت عاد الارض رخيصة و الشعب ماكترش ...كان با يبني غير بشوية و ديجا هو بناي ....سقدنا زوج بيوت و سكنا ...سكنا على البلوك قولي ...سقنا عاود شوية بصح دروك هو كبر و الشي غلى ...قال لخوتي لي بغى يتوج يسقد شوية و يزوج ..."

" ...لوكان ماشي دار حنا ...لوكان رانا برا .."

" ما كناش ناكلو و كنا نبتيوا ...معليش غير غار و يكون حر مالك "

كما قمنا أيضا بزيارة للعديد من المبحوثات بمساكنهن فجلهن ينتمين إلى أحياء شعبية إما بوسط المدينة القديمة لتلمسان (القران، المدرس) وهي بمجملها تمتاز بدروب و أزقة ضيقة، يعاني سكانها من نقص بعض الأساسيات كغياب غاز المدينة بمنازلهم، ومنازل المبحوثات المنتميات لهذه الأحياء، قديمة لدرجة أنها أصبحت تشكل خطرا على قاطينيها، أجرتها أسرهن منذ مدة من أصحابها، و أخريات تنتمين إلى أحياء تشكلت حديثا كنتيجة للتوسع العمراني و البشري و الهجرة الداخلية، و هي تتراوح بين المقبولة وأخرى رديئة تفتقر للتهوية و أشعة الشمس أو تفتقد لاتساع المساحة بالنسبة لعدد أفراد الأسرة... الخ و كل هذا يتماشى وفق دخل العائلة هذا الأخير هو الذي يحدد إلى حد كبير

وضعية السكن و مكان تواجده ، وليس معنى هذا أن من يمتلك منزلا هو أحسن وضعا من الناحية الاقتصادية و الطبقية عمن لا يملك ، إنما هناك سياق ثقافي تاريخي يخص كل عائلة ، فبعض العائلات التي تنتمي لهن بعض المبحوثات تفضل ملكية المأوى قبل أي شيء آخر و الذي كان توفيره بسنوات الثمانينيات و التسعينيات أمرا سهلا بالنسبة للبعض حسب ما أوضحت بعض المقابلات أين كانت أسعار الأراضي منخفضة ببعض الأماكن التي كانت تعد خارج المدينة و سيئة السمعة.

ان قياس الوضع الاقتصادي–الطبقي للأفراد من خلال وضع مؤشرات و فقط لا يعتبر كافيا للحكم عليه بل يجب أخذ انطباعات المبحوثين و تحليلاتهم الذاتية عن وضعهم الاقتصادي، و هذا ما قمنا به، إضافة إلى ملاحظاتنا، باختصار يمكن القول أن مستواهن الطبقي الاقتصادي متقارب فيما بينهن ، ينتمين إلى طبقة فقيرة أو أقرب إلى الفقر ، بشكل عام مستوى اقتصادي منخفض لأنه لا يلبي حتى بعض الحاجيات الأساسية كالمأوى اللائق أو العمل الدائم و التأمين الصحي.

الوضعية الاقتصادية – الطبقية للمبحوثات و المسلف:

عرضنا فيما سبق المستوى الاقتصادي للمبحوثات انطلاقا من مؤشرات وضعناها لتحديده و الحكم عليه انطلاقا من العمل ، و سنركز على العمل خارج المنزل من وظائف أو مهن لما له من أهمية اقتصادية و حتى ذاتية للمبحوثات ، هذا النوع من العمل لا يوفر الدخل المالي فقط و الذي يعتبر من مكونات الوجود الاجتماعي للأفراد و الجماعات ، بل يسمح كذلك بتحقيق التواصل و التفاعل الاجتماعي ، فالعمل خارج المنزل يخلق الفرص و العلاقات الاجتماعية بمختلف أنواعها و يفتح آفاق الفكر عن طريق الاحتكاك و ملاحظة تجارب الآخرين والاستعانة بخبراتهم ...فتبنى الشخصية المتوازنة الفعالة في محيطها و مجتمعها ككل.

لكن إذا ما غاب كل هذا يصبح الفرد يعيش بنوع من العزلة ،بابتعادهن عن مختلف عمليات الإنتاج المادية و اللامادية ، و الحال نفسه بالنسبة للمبحوثات ، فقد رأينا سابقا أن مسارهن التعليمي قد توقف و في فترة مبكرة عند غالبيتهن ، هذا الأخير الذي كان له دور في انعدام فرص العمل بدرجة كبيرة ، فدائرة المنزل هي الحيز الرئيسي الذي تشغلنه وساعات العمل خارج المنزل بالإضافة لساعات التعليم تملأ بطرق مختلفة من أهمها وسائل الإعلام المختلفة المتمثلة في القنوات التلفزيونية ذات الايديولوجيا السلفية وغير ها من المصادر الأخرى ، و إزاء هذه المعطيات و نقصد بذلك الانقطاع عن الدراسة وعدم مزاولة عمل أو وظيفة خارج المنزل يزعزع الثقة بالنفس وحتى القيمة الاجتماعية للفرد[1] لكن يعوض الأمر و يستدرك بعدة طرق من بينها البحث عن الخلاص، والملجأ الديني و هذا ما يذهب إليه الأستاذ غالي شكري حيث يقول "...البحث عن مخرج هو الشغل الشاغل لمن نسميه بالمواطن العادي و قد تبدى الخلاص في ثلاث وسائل قد يجد ضالته في إحداها..." و يضيف " من بينها اللجوء الى التنظيم الديني ...إنها مرتبطة ببعضها البعض و مرتبطة بالانهيارات الكبرى في الاقتصاد و الفكر..."[2].

وهذا ما ينطبق إلى حد ما مع الدراسة التي نقوم بها حيث تقول إحدى المبحوثات " حياتي ضاعت ..." فالملجأ الديني و بالخصوص الملجأ السلفي الوهابي يوفر الغطاء و الشرعية لذلك، حيث يوفر مجموعة من الأحكام و النصوص التي تدعو لبقاء المرأة في منزلها فلا تتعلم و لا تعمل «...أ بنت عمي لا قراية ، لا خدمة ...لوكان ماشي راني نجي للجامع لوكان راني طرطقت ... "

[1] -Claude Dubar, La crise des identités, l'interprétation d'une mutation, Édition, PUF,3ème édition, Paris,2007

[2] -مج مؤلفين،الإسلام و السياسة و آخرون، الإسلام و السياسة، مرجع سابق، ص 88

فمصادر التمسلف المختلفة التي ذكرناها فيما سبق و بالأخص الحلقات الدينية السلفية تسهم في شرعنة أوضاعهن، فعدم تحقيق هوياتهن (ذواتهن) من خلال التحصيل العلمي و مزاولة مهن أو وظائف ...الخ يجعلهن يمتثلن أكثر – بطريقة لا واعية – للخطاب السلفي و الايديولوجيا السلفية و يكون ذلك من خلال التمسلف الذي يبرر و يمنح الخلاص و العزاء لهن.و من خلال مواظبتنا على الحلقات الدينية لا حظنا العديد من الممارسات التي تدعم ما قلناه حيث تقول المبحوثة "ع" في إحدى مواعظها " ...علاش نهدروا على و لادنا ماراهمش مربيين ...على خاطرش ماتهم يظلوا يهوموا ...و تقولك لا راني نخدم ...ربي قال " وقرن في بيوتكن " ما نتفلسفوش حنا ....المرة مالازمش تكون دلالة ..."

و قد وجدنا فيما سبق أن اهتمامهن موجه للعمل المنزلي البيتي بالدرجة الأولى من تنظيف و إعداد للطعام و تربية الأطفال و غيرها ، فعمل المرأة بمنزلها " ...يا أخواتي ... المراة كي تكون تخدم صوالحها في دارها ما تكرهش ...تنويه لله ...تكون طيب و لا تغسل ...تنويه في سبيل الله تكسب فيه اجر كبير...لا نو حتى هداك عمل و تعب ...و في نهاية الأمر نوليوا للدين " وتقول كذلك إحدى المبحوثات

" ...الجنة ما تخدمي والو ...قشك يكون مطوي ..."

إن هذا الخطاب هو بمثابة تعزية نفوس المبحوثات يمنح العزاء عن الشقاء و يمنح الأمل و السعادة [1] عن طريق كسب الأجر و دخول الجنة فلا يعطي وعيا بالوضع الطبقي الاقتصادي لديهن و محاولة تغييره ، إنما يتضمن رضوخا لوضعية ما ، و هذا ما يؤكده العديد من الباحثين من بينهم دوركايم الذي يرى أن الدين يقدم العزاء للفقراء ويعلمهم القناعة[2] وهذا ما يوفره التدين السلفي ، كما يرى الأستاذ برهان غليون أن أولئك الذين

[1]- غالي شكري.بيانات في الاسلام السياسي ص 54. مجلة الناقد العدد/21/حزيران 1989
[2]- انتوني غيدنز ، ترجمة فاضل جنكر،ص 110

يفتقرون للمؤهلات من بينها المادية منها يندرجون ضمن الجماعات الدينية ...هذه الجماعات لا تنبع من الدين إنما تتغذى منه [1] و يضيف الأستاذ عاطف العقلة أن الدين يعمل على إضفاء الشرعية على الأوضاع القائمة و أن المؤمن يفسر دينه انطلاقا من أوضاعه[2] " في الجنة ما تخدمي ماوالو ...تصيبي قشك مطوي. .."

و بما انه لم يكن بإمكاننا الحكم على وضعيتهن الاقتصادية – الطبقية من خلال ما سبق فقط إنما يتعدى ذلك إلى البحث في عن نوع العمل و أنشطة المعيل بالأسرة ...الخ التي وضحت بالعنصر السابق أين وجدنا تقاربا في هذا المستوى بين المبحوثات فهن ينتمين إلى طبقة فقيرة أو اقرب للفقر ، خاصة وأن هناك بعض التحولات الاقتصادية والاجتماعية و السكانية التي تعرفها البلاد ككل، فجل المبحوثات يقرن بمعاناة أسرهن من غلاء المعيشة و الأسعار و تدني الأجور و غياب فرص العمل و مناصب الشغل الدائمة لأفراد الأسرة بالأخص المعيل و تخبط أسرهن في أزمات مالية " ...تخمي للدخلة نتع الدراري ، تخمي للعيد ...للمرض...المعيشة صعابت و المسكين راه يدبب وفرات ..." لكن في الأخير هن قانعات راضيات بذلك "...واسم نديروا ..نطيروا... حتى صبعانا ماشي كيف كيف... ربي خلق الغني والفقير والإنسان ما يجهلش..." "... البركة في القليل ..."

إننا ندرك من خلال هذه الخطابات انه لا يوجد وعي بوضعهن الاقتصادي الذي قد يكون نتيجة لعدم تساوي الفرص أو اللامساواة و حتى وان أدركن ذلك فهن لا يملكن معطيات لتغييره و غالبا ما ترفضنه بحيث لا تستطعن التلاؤم معه من خلال مقاومتهن، هذه المقاومة التي تتخذ عدة أشكال من بينها تبني الايديولوجيا الدينية السلفية – الوهابية أي التمسلف و يؤكد سمير أمين ذلك حيث يرى أن العالم الرابع و الذي يقصد به الدول

[1]-برهان غليون، مرجع سابق 388
[2]- مج مؤلفين،الإسلام و السياسة ص88

العربية، اغلب سكانه المهمشين لا يستطيعون إيجاد حلول لمشاكل اقتصادية و غيرها ... فهم غائبون عن دائرة الصراع على أرضيات الحياة الاقتصادية و الاجتماعية الحقيقية كما هو ببلدان أخرى، فيهاجرون إذن إلى حلول دينية ، إلى حلول السماوات و الأرض[1] " سبب الفقر هو عدم تأدية الأغنياء لفرض الزكاة .." "...لوكان النسا قعدوا في ديارهم لو كان الرجال صابوا الخدمة ...".

وكما ذكرنا سالفا أن للمناطق والأحياء السكنية، مواقعها وأنماط بنائها...الخ مؤشر هام في تحديد الوضعية الاقتصادية – الطبقية للأفراد التي تمثل عاملا مهما في التمسلف وقد أوضحنا فيما سبق أن كل المبحوثات ينتمين أحياء سكنية شعبية لمدينة تلمسان و كما هو معروف و متفق عليه أن الأحياء الشعبية تضم في غالبيتها شرائح اجتماعية من الطبقات الفقيرة أو ا لأقرب إلى الفقر هذه الأحياء بضمها لهؤلاء تنمو بها ظواهر اجتماعية عديدة من بينها الانحراف و الجرائم بمختلف أنواعها و كذا صعود وتنامي الحركات الاجتماعية و بالأخص الدينية فسابقا شكلت هذه الأحياء معقلا ترعرعت به الجبهة الإسلامية للإنقاذ كحي بودغن و القلعة و حاليا السلفية هذا ما هو ملاحظ و أكدته العديد من الدراسات، كما لاحظنا أي أيضا وجود ظاهرتين اجتماعيتين بالعائلة الواحدة (الانحراف و التمسلف).

"...لي يسكن في سيدي شاكر يكون يا هاك.. يا هاك...تسكني تم و ما تحجبيش...؟؟"

"...سكنى نتع الزعاف،...احنا ما نخالطوهمش... الحمد لله راني نجي للجامع و نعرف الأخوات ...يعينوني على الطاعة...".

[1]-سمير أمين و برهان غليون، حوار الدولة و الدين، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء و بيروت الطبعة الأولى 1996 ص 29

تبني الأفكار من مصادر عدة و بالخصوص الحلقات الدينية التي تسمح لهن التفاعل مع الأخوات فيتشكل لديهن وعي ديني سلفي هذا الوعي نابع من عوامل عدة أهمها الوضع الاقتصادي الطبقي حيث بشكل الحي عنصرا مهما منه نلاحظ أن هناك أساليب احتجاج ورفض و مقاومة – تكون لاواعية بمعظمها – من خلال التدين و التمسلف بالخصوص و الذي يعتبر كرأسمال للعديد من المبحوثات لتغيير واقعهن الى واقع افضل منه من خلال التمسلف (...لوكان نصيب نهرب من هذيك البقعة ...او نتزوج بصح ماشي هنا ..." أو مهربا و لجوءا بغرض التميز و التعويض عن النقص المادي " الجنة و النار على لي يسكن الفيلا و القربي ...قاع كيف كيف ..."

ويدعم هذا دراسة الباحث سمير أمغار للسلفية بأوروبا حيث وجد أنها تنتشر بالضواحي (Les banlieue) عند الشباب المهاجرين، الفقراء، حيث أن السلفيات تضعن مبررات (دينية روحية بتمسلفهن للتهرب والتميز عن باقي الموجودات بالأحياء التي يشترك ساكنيها بنفس المكانة[1]. و يعتبر تمسلفهن عن ردة فعل على نمط معيشي حددته وضعية اقتصادية بكل مكوناتها.فهي إلى جانب تداخلها و تفاعلها بالأوضاع الأخرى تساهم في خلق وعي معين لدى الأفراد سواء كان و عيا دينيا أو سياسيا أو غيرها، وغالبا ما أصبحت أنماط معينة من التدين تنتمي الى طبقات معينة من المجتمع، و بالتالي لا يمكن عزل الظروف الاقتصادية الطبقية بتشكيل الوعي.

[1] -Samir Amghar et autres, op.cit p200

الوضع الاجتماعي و التمسلف:

يعتبر الوضع الاجتماعي للمرأة من العوامل المساهمة في اتخاذ التمسلف كنموذج تديني لها، و هو بدوره عامل يتداخل مع الأوضاع الأخرى الثقافية و الاقتصادية.

وقد حاولنا الاقتراب من هذا الجانب من خلال مؤشر الأسرة و عملية التنشئة الاجتماعية و كذا الوضعية الشخصية للمرأة كمتزوجة أو عازبة، أو مطلقة ...الخ.

لقد ركزنا في هذا العنصر الذي تتضمنه دراستنا الميدانية على الأسرة، باعتبارها المؤسسة الأولية، الأعرق و الأقدم من يبن مجموع المؤسسات الأخرى الموجودة بالمجتمع على غرار مؤسسة الدولة والمدرسة و المسجد...الخ [1]،وهي أول محطة لاكتساب الثقافة والمعايير، القيم و التصورات الجماعية و ذلك يتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، و هو الدور الأساسي للأسرة بغض النظر عن شكلها، حجمها و طبيعتها، حيث تسهم في تنشئة أفرادها بما يتوافق والمجتمع و بناء شخصية أفرادها و تحقيق استقرارهم.

والمرأة أو الفتاة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تمر بها داخل أسرتها بالخصوص، تتعلم الأدوار المتوقعة منها كأنثى والتي تختلف عن أدوار الذكر، فتتعلم أصول التدبير المنزلي، من طبخ و غسيل و تنظيف و تربية أولاد...الخ و هذا لا يقتصر على المبحوثات فقط أو على نساء دون غيرهن إنما تشترك فيه أغلب النساء بأغلب المجتمعات و حتى الأكثر حداثة ، لكن قد يتفاوتن في الدرجة.

فأغلب المبحوثات لا يساهمن في أنشطة خارج المنزل سواء من خلال العمل أو الدراسة أو غيرها و بالتالي جل نشاطهن يتجلى فقط بالأعمال المنزلية و التي يرينها من اختصاصهن فقط "...صوالح الدار للنسا ...بلاك الراجل يعاونك الا إذا مرضتي لقدر الله بصح ماشي يغسل و يجفف ...هاذي خدمة النسا ...انتيا تقدي تمشي تبني ..؟..." .

[1] -Ghita khayat , op.cit.p 102

أغلب أسر المبحوثات هي ذات سلطة ذكورية أي يترأسها رجل سواء كان الأب، الأخ أو الزوج بوصفه المعيل و صاحب السلطة على الأسرة و نساء الأسرة، أين يتم إخضاعهن لما يراه و وفقا لقراراته، حيث وجدنا سبع مبحوثات منعتهن سلطة الأب والأخ من إتمام دراستهن، وثمان مبحوثات تمت معارضة عملهن خارج المنزل وبالتالي عزلهن عن المجال العام.

إن هذه السلطة نابعة من الأبوية و إن تلاشت قليلا عما كانت عليه في القديم – خاصة قبل الاستعمار– و التي كانت من سمات العائلة الموسعة حيث يخضع الكل لقرارات الذكر الأكبر سواء كان الجد أو الأب أو الأخ الأكبر، مع أن نمط العائلة قد تغير بفعل الحداثة و الاستعمار، إلا أن العديد من الأسر لازالت تحتفظ ببعض القيم التقليدية خصوصا السلطة الذكورية التي تظهر على شكل التحكم في سلوكات المرأة بالأخص.

"خويا ما خلاني لا نقرا و لا نخدم ..."

"حتى قبل ما ريض القراية ...با ماكانش يخلينا نخرجو و كي ما ربحتش ماخلانيش نعاود ...قالي قعدي عاوني مك .." "..تقيلة . déjà احنا أصلنا (---) ....با مازال عنده ديك العقلية نتع المرة ماتخرجش وانا علي الخرجة ..."

من خلال هذه المقابلات و من خلال الملاحظات كذلك نجد أنه بما أن أغلبية المبحوثات من أصول ريفية –بدوية قد قطنت ضواحي المدينة في فترات إما بعد الاستقلال أو التسعينيات، قد ساهمت معتقدات و ثقافة الأهل عن المرأة و الوالدين بالدرجة الأولى الأب، من توجيه و التدخل مباشرة في تحديد رغبات الفتاة وفقا لثقافته البدوية – التقليدية لا استنادا على رغباتها هي.

فبالرغم من التغير الاجتماعي الذي تعرفه المجتمعات اليوم ومن بينها المجتمع الجزائري و تغير بعض القيم الاجتماعية خصوصا بالمدينة إلا انه تبقى هناك سلوكات تقليدية من خلال بعض الشرائح القروية [1].

وقد وجدنا بدراستنا هذه أن الأحياء التي تقطنها المبحوثات هي أحياء شعبية غالبية قاطنيها من أصول قروية، بدوية مهاجرة يحافظ أغلبهم و خصوصا الكبار على العديد من القيم التقليدية خصوصا تلك القيم التي تتعلق بالمرأة.

إن العديد من المبحوثات من خلال أجوبتهن التي حصلنا عليها كن يتذمرن من الذهنية التقليدية لبعض أفراد الأسرة خصوصا الذكور و التي كانت بالنسبة لهن السبب في ضياع مستقبلهن الدراسي أو المهني وأحيانا حتى الشخصي (السبب في عنوستهن) لكن بالوقت ذاته يبررن ذلك من الناحية الدينية و خصوصا من المنظور السلفي، بعض هؤلاء المبحوثات لا يعتبرن أسرهن متدينة بل متمسكة بثقافة تقليدية أحيانا تتعارض مع قيم الدين نفسه ، لكن يلتقيان بنقاط عديدة، منها منع المرأة و حبسها بمجالها الخاص الذي يعتبر مملكتها و هذا ما تقوم به العملية التنشئوية لهن و من خلال السلطة الذكورية.

هذه السلطة الممارسة عليهن لا تقتصر فقط على عزلهن عن الفضاء العام و إنما تتدخل في تحديد هندامهن، و ثقافة اللباس أو الهندام من حيث لونه و شكله لا تحدده العائلة فقط إنما المجتمع ككل و الذي يصدر أحكاما انطلاقا من ضميره الجمعي، على أي فرد ما، انطلاقا من لباسه و بالدرجة الأولى تكون المرأة هي أول المحاكمين، و لباس المرأة لا يدل عليها فقط إنما على أسرتها و بالأخص ذكورها."نجيب لخواي المعايرة..."

[1]- Juliette Minces ; la femme voilée ; Édition Calman- Levy Paris 1990 p26

لقد وجدنا أن كل المبحوثات ماعدا واحدة يقرن بأنهن كن يحرصن على أن يكون هندامهن محترما تجنبا للمضايقات أو اتهامهن بالانحراف و هذا كنتيجة لتنشئتهن وفق ضوابط معينة حتى قبل تدينهن.

تقول إحدى المبحوثات " ...أنا درت الحجاب كي كنت عاد نقرا سنة ثالثة ابتدائي... داروه لي على خاطر فالمنطقة نتاعنا سبدو و اولاد نهار محافظين بزاف البنت قبل ما تبلغ تتحجب...ماشي على خاطر الدين... عادات....بصح الحمد لله لوكان ماشي الاسرة لي كانت هي القاعدة و هي لي تضبط ..لوكان مارانيش هاكا ...." "...ايوا المراة لي ماشي مستورة ما ينعلوهاش هي... ينعلوا باها..." "...غير الراضي الديوث هو لي يخلي بنته و لا اخته و لا امرته تمشى و تزعبل ..."

تنظر هؤلاء المبحوثات إلى الغطاء (الحجاب) على أنه مقياس للشرف و الفضيلة بل هو شرف رجل الأسرة بالأخص، حتى أن شرف الرجل لا يتعلق بسلوكه بقدر ما يتعلق بسلوك وشرف نساء بيته سواء كانت زوجة ، أم أو أخت أو بنت[1].

وقد سار الخطاب السلفي في تدعيم ذلك، بتكريس الأدوار الجندرية بفصله بين فضاءين عام و خاص فالأول من اختصاص الرجال و الثاني من اختصاص النساء " والدينا ما شي متفقهين فالدين ...بصح علمونا (وقرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية)... بطريقة وحد اخرى ماشي كيما لي فهمتهالنا الأخت "ع" ...".

إن الايدولوجيا السلفية تتغذى مما هو معاش و الخطاب السلفي الموجه للمرأة بالخصوص يدعم الأبوية إن وجدت، و يدعو إلى استحضارها مجددا إذا ما قلت، حيث يبرر السيطرة الذكرية و يشرعنها، و قد وجدنا أن المبحوثات يستحضرن الديني المقدس لتبرير عزلهن عن الفضاء العام، و تبرير لباسهن أيضا المتمثل في الغطاء الكلي، حيث

[1]- سمير عبده،المرأة العربية بين التخلف و التحرر،منشورات دار الآفاق الجديدة،لبنان،1980،ص52

في نفس السياق يعطين الدلالات الاجتماعية قبل الدينية لمعنى الحجاب الذي يعتبر اجتماعيا قبل كونه دينيا [1] فهي تريد أن تحظى بثقة ذكور الأسرة كما تريد أن تكون محترمة، خاصة إن كانت بالشارع، و أيضا دلالة على تدينهن و إيمانهن " ...كي كنت عاملة حجاب.normal.. كانوا يديرونجيوني بصح كي عملت الجلباب كامل يبعدوك ..."

" ...كي نطلع في bus ينوضولي .... الوحدة كلما درجات إيمانها طلعت كلما غطات ..."

ومن خلال الحلقات الدينية التي قمنا بحضورها و كذا الأدبيات التي تخص الاتجاه السلفي الوهابي و الموجه للنساء، يبرر الجلباب اجتماعيا بالدرجة الأولى، حيث يرجع الظواهر الاجتماعية كالانحلال الخلقي والانحراف إلى النساء وخصوصا أجسادهن حيث يختزلن إلى مجرد مواضيع جنسية[2]، وفي خضم كل هذا، من سلطة ذكورية أسرية وذكورية الشارع الذي يحاصر المرأة،و الخطاب السلفي، نجد أن المبحوثات يحاولن تبرئة أنفسهن من أي سلوك سيء ومنحرف ويكون ذلك بارتداء نوع من الأزياء الإسلامية والتي تغطي الجسد كليا كمحاولة إصدار شهادة بحسن السيرة و السلوك و يكون هذا أول خطوة نحو التمسلف.

أضفنا مؤشرا آخر والذي يعنى بالوضعية الشخصية للمبحوثات كونها عازبة أو متزوجة أو مطلقة... حيث جاءت العينة مختلفة تجمع بين متزوجات وعازبات ومطلقات، ..بين من كن بين مرحلة الارتباط و العزوبة، ممن هن أمهات و ممن لسن أمهات...كل ذلك يسهل في الحكم على الوضعية الاجتماعية و التي تسهم في التمسلف، فلزواج أهمية بالغة خاصة بالمجتمعات الإسلامية، فهو من جهة يحقق الإشباع العاطفي والجنسي والذي يعتبر غير مسموح به و مستهجن خارج إطار الزواج[3]، فيوفر بذلك الاستقرار النفسي لأنه نوع من أنواع الاعتراف الذي يعزز الثقة بالنفس و قيمة الفرد.[4]

[1] - Addi lahouari , les mutation de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine , édition la découverte , Paris 1999p 158

[2] - Juliette Minces ,op.cit.p 36

[3]- Ghita khayat , op.cit.p106

[4]- كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الدار العربية ناشرون،بيروت لبنان الط الأولى2010،ص36

أما من الناحية الاجتماعية فهو يعلي من مكانة المرأة سواء اقتصاديا أو اجتماعيا كونها تابعة لرجل كما يمنح للمرأة نوعا من التأمين الاجتماعي الذي يحميها من الفقر أو الظلم أو أي شكل من أشكال الازدراء الاجتماعي...الخ.

وتعمل عملية التنشئة على إعداد الأنثى منذ الصغر للاستعداد لذلك فتتعلم كيف تحافظ على عذريتها ضمن تحضيرها اليومي للهدف الوحيد و الذي هو الزواج، و تتعلم كذلك قواعد وضوابط احترام الذكور....الخ، كما تجهزها ماديا منذ صغرها trousseau فإذا ما تأخر سن زواجها شكل ذلك قلقا لها و لأهلها.[1]

وقد اشتملت عينتنا على متزوجات وغير متزوجات ومن كن كذلك بين المرحلتين حيث لاحظنا أن مبحوثتين توقفتا عن الحلقات الدينية وحتى الاتصال بالأخوات السلفيات بمجرد خطبتهن، و قد كانت طريقة زواجهن من خلال احتكاكهن بالأخوات، والمواظبة على الحلقات الدينية،حيث سمح لهن التعارف و التفاعل مع غيرهن: أولا بالتمسلف و ثانيا بالزواج، مع أن الزوج الذي تم الارتباط به بالنسبة لمبحوثتين لا ينتمي للسلفية ،إنما أخته متمسلفة وهي من أوكلت لها مهمة البحث عن عروس، تقول هذه المبحوثة:".... كي تبقاي قاعدة فالدار حتى واحد ما يشوفك والمرة تكبر ماشي الراجل... ربي عرفني بأخوات ما شاء الله لي يبغيولك الخير على خاطرش حب في الله ...وراكي معروضة ..."

وها هو الخطاب السلفي يبرر انقطاعها من خلال الحلقات الدينية أين يتم الدعاء لهن بالتوفيق و أن في غيابها طاعة لزوجها و هي طاعة لله بالضرورة.

[1] - Ghita khayat , op.cit.p108

الحصول على زوج و تكوين أسرة بالنسبة لهذه المبحوثة له الأسبقية و الأولوية من ا لانتماء إلى جماعة دينية مع أن كلاهما يمنح التقدير و الاعتراف، فالزواج من رجل ليس بمتمسلف و الانقطاع عن الحلقات الدينية و حتى العلاقات التي كانت تعتبرها هي بأنها أخوية "أخوة بالله" ، له أكثر من دلالة، أهمها أسبقية الاجتماعي على الديني.

بالمقابل هناك من المبحوثات ممن لم يتزوجن ممن تجاوزن العشرين و الثلاثين و الأربعين حيث ينظر لهن المجتمع ممن تأخر سنهن على الزواج فإذا تأخر سن الفتاة عن الزواج قلل ذلك من شأنها و نعتت بالعانس " البايرة "مما يؤثر عليها نفسيا و اجتماعيا [1]، وغالبا ما يشعرن بالنقص و حتى التهميش لأن سن الزواج قد فاتهن وجعل الرجال يعرضون عنهن " ...الرجال راهم يبغيوا الصغارات ...تصبيه عنده 40عام و يدي وحدة مولات 17 العام ..." لتجيبها الحالة "ع" و من تمثل مصدرا مهما و مرجعية لهن " كل واحد و ربي واش كتب له ...و ايلا مول 40 كتابتله مولات 16 و لا 17 تتحيله نتي؟ كل واحد ويدي مكتوبه ...يا أختي لا تحزني ...المجتمع على ضلالة لي يسميك بايرة ...انتي ماشي بايرة ...البايرة هاذيك لي تتمشى عارية دون حجاب و كل واحد يشوف فيها ...البايرة مفهوم خاطئ ...أما أنت فافرحي يا أختي عندك جزاء بالآخرة لأنك صنت دينك و نفسك ...."

كما تقول أخرى «...كي كنت قاعدة فالدار كنت نخمم بزاف ...هوما يخليوك تخمي و تكرهي ...لي قدك كامل بولادهم ...بصح اليوم الحمد لله تبدلت عقليتي و كامل التفكير نتاعي ...بعدما خالطت الأخوات و الحمد لله رانا نتبعوا الحق و أهل السنة والجماعة ...و الله سعادة لا تتصور تنساي قاع الدنيا نتاعهم ..."

[1]-سامية حسن الساعاتي،علم اجتماع المرأة،دار الفكر العربي،القاهرة، مصر، الط الأولى،1999ص221

لقد وجد الحل إذن لهذه المبحوثة في التمسلف، باعتباره الملاذ و الخلاص الذي يخفف من المعاناة النفسية، و الذي يسمح أيضا باسترجاع قيمتها كذات حتى وإن لم تتمكن من تشكيل هويتها كامرأة متزوجة أو أم ، لكن المواظبة على المسجد و التفاعل بأخوات و فرتها الرابطة الدينية "الصحيحة و الحقة" حسب تعبيرهن و التي تمنح الفرد عموما و هذه المبحوثة بالخصوص نوعا من الاعتزاز و الفخر و الثقة بالنفس و تقدير الذات الذي يحصل من خلال الانتماء لجماعة ما و هي ببحثنا جماعة دينية سلفية.

كما يعتبر الطلاق أيضا أمرا غير مرغوب به، لقد كان بالماضي حالة نادرة في المجتمع الجزائري التقليدي أين كان للعائلة الممتدة و تدخل " الجماعة " دور في ذلك، لكن مع التطور و التغير الاجتماعي الذي عرفه المجتمع، اندثرت فيه عدة مؤسسات تقليدية كالعائلة الأبوية الممتدة، و سلطة الجماعة، و تراجعت السيطرة على قرارات الأفراد، و بالتالي أصبح الطلاق هو كنتيجة لهذا التغير الاجتماعي و تلاشي المؤسسات التقليدية وسلطتها.

لكن لا تزال العديد من النساء تعانين من الطلاق كما تعانين من العنوسة، فالرجل المطلق له حظوظ أوفر في الزواج مرة أو أكثر بعد زواجه الأول أما المرأة التي سبق لها الزواج مرة فحظوظها قليلة جدا في الزواج مرة أخرى و ذلك لاعتبارات ثقافية تحكم المجتمع الذي هي فيه.

وقد أوضحت العديد من الدراسات أن الطلاق كظاهرة بإمكانه أن يكون عاملا في إحداث ظواهر أخرى خصوصا الانحراف، هذا ما يدفع البعض لمراقبة المطلقات أو الأرامل أكثر من طرف المجتمع على غيرهن سواء متزوجات أو عازبات، خاصة بالتجمعات السكانية الصغيرة التي يعرف أفرادها بعضهم البعض، و أوضحت بعض الدراسات التي جرت ببعض البلدان المغاربية أن أغلبية من يمارسن الدعارة أو لهن حرية

في النشاط الجنسي هن ممن سبق لهن الزواج سواء كن مطلقات أو أرامل و هذا لاعتبارات ثقافية بالدرجة الأولى، فالمرأة العازبة يمكن إثبات انحرافها من عدمه بمجرد فحص طبي لعذريتها و التي تعتبر كأهم شرط للزواج. هذا من جهة، من جهة أخرى، تشعر المرأة المطلقة بفقدان نوع من قيمتها الاجتماعية التي قد منحها إياها الزواج سابقا.

واشتملت عينتنا على مبحوثة قد مسها الطلاق تبلغ 29سنة أم لولدين حيث توضح لنا أنها التزمت بعد طلاقها، لم يكن بمقدورها الكلام في ماضيها إنها حالة من الألم النفسي والمعاناة الاجتماعية خاصة بعد رفض عائلتها استقبالها تقول " ...ما نزيدش نهدر ...دروك راني في رحمة ربي ماخصنيش نهدر على الماضي ...والله لولا الإيمان والدين ... (تصمت) ماكانش كيما الإنسان لي يعيش مع ربي "، إن التزامها بعد الطلاق و سكنها بعيدا عن أسرتها و عملها خارج المنزل كل ذلك يشعرها على أنها مراقبة و إن كانت حسنة السلوك و بالتالي تبحث عن تبرئة نفسها أكثر فأكثر من خلال التمسلف و مداومة الحلقات الدينية.

كما أن التدين عموما و التمسلف خاصة يولد رابطا اجتماعيا و يعوض عن المشاكل و أزمة الروابط الأسرية، حيث أن الانتماء إلى جماعة دينية يساعد على تجاوز تلك المشاكل ، "...ختاني هبلوني حتى دخلت خطرة لسبيطار نتع الحومق ...و شحال وأنا نرقي و والو ...بصح دروك كي واضبت على الحلقات و مع الاخوات تعلمت الدين وتعلمت نصبر ...دروك ماعلابالیش قاع بيهم يهدروا و لا عايروا ...ودروك راني خرجت عليهم بصح في دار وحدة ..."

وتوضح إحدى المبحوثات أن تمسلفها كان كرد فعل على سلوك والدها و أمها أيضا الذي تعتبره غير لائق فالأسرة فقيرة و بعض أفرادها منحرفون.

"...الوالدين قاع ما يصلحوش ...با دراهمه خسرهم قاع فالشراب و القمار و دايما معاه في مشاكل ...انا الوحيدة لي ملتزمة ...كي التزمت با ولى يسمع هدرتي ...لوكان حسابني هكذا كنت هاذي شحال نير الجلباب و نلتزم ..."

إنها محاولة رد الاعتبار لها من خلال تمسلفها و إن كانت الأسرة منحرفة إلا أنها تريد أن تثبت أنها عكسهم إنها استجابة لاواعية لما يريده المجتمع خاصة نحوها كامرأة صالحة.

وقد كان التمسلف كذلك محاولة للتوبة و الرجوع إلى الله بعد الانحراف "...ما كنتش قاع نصلح...درت علاقات ....(تتأوه) و غلطت...بغيت نخرج من دزاير... نمشي للسعودية ..كنت نتصل بالانترنيت باش نمشيي تم...فيها الإسلام نتع الصح... كرهت هاد الدنيا لي هنا ....لوكان تبغيني دعي لي نمشي تم و حتى نتزوج سعودي..".

من خلال مرافقتنا للمبحوثات خصوصا لهذه المبحوثة التي تعرضت لعنف فيزيائي (اغتصاب) وهذا بدوره يسبب معاناة نفسية بالدرجة الأولى و إخفاق اجتماعي حيث يشعر الفرد المعنف بأنه فقد الاحترام والقيمة الاجتماعية وهذا نوع من الازدراء، فالشرف كمعبر عن وضعيتها و مكانتها بالمجتمع هو مرتبط بما يسمى بالتقدير الاجتماعي والذي لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار ثقافي معين للمجتمع[1].

لقد كان التمسلف كرد فعل على ما عاشته اجتماعيا ، حيث عادت إلى ضمير المجتمع من خلال التكفير عن خطئها متخذة التمسلف متجاوزة فيه المجتمع نفسه باختيارها للمذهب الحق و الإسلام الحق، و ضمن هذا السياق الثقافي و الاقتصادي و الاجتماعي تغيب كل الحلول التي تمنح اعتراف الآخر بها، لكن ما لا يمكن مصادرته هو الدين و التمسلف على وجه الخصوص لأنه يمنح التميز و هو نوع من تأكيد الذات

[1]- كمال بومنير، مرجع سابق،ص157-158

وهذا ما ذهب إليه الباحث سمير أمغار،الذي أكد من خلال دراسته لظاهرة السلفية والنقاب في فرنسا أن التمسلف يكون كرد فعل عن الإقصاء والتهميش الذي يعاني منه هؤلاء الشباب لمنحدرين من أباء مهاجرين و بالتالي يكون اتخاذهم لهذا النوع من التدين كمحاولة لرفض الهوية الفرنسية التي لم توفر لهم الاندماج و بالتالي الاعتراف و كذا رفض الدين الموروث الذي بدوره لم يحقق ما هو أفضل، أما التمسلف فقد أعطاهم شعورا بالتميز و تأكيدا للذات.[1]

[1] - Samir Amghar et autres,p199

الخاتمة

في هذه الدراسة حاولنا ربط ظاهرة تمسلف النساء بما يحيط بهن من واقع ثقافي و اقتصادي و اجتماعي، ذلك أن الظواهر الاجتماعية بشكل عام، و التي تدرس الأفراد، لا يمكن فصلها عن سياق ما تحدث داخله، ومن هنا كان تساؤلنا عن سبب اختيار المرأة لهذا النموذج التديني الجديد، مع أن المجتمع الذي تعيش فيه لم يتحول يوما، أو يلغي كما هو ملاحظ، الدين من كينونته الثقافية و الاجتماعية ...الخ، خاصة و أن المرأة بالمجتمعات الإسلامية تعتبر أكثر محافظة و حارسة لتقاليد و أعراف المجتمع من الرجل مثلا.

وقد جاءت الفرضية لتبين أن تمسلف المرأة ما هو إلا تعبير عن أوضاع محيطة بها وهي الوضعية الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية.

و من خلال البحث الميداني و بتقدمه، تحققت إلى حد بعيد الفرضية التي انطلقنا منها، حيث وجدنا أن مجموع النساء المبحوثات يتشابهن بكل أوضاعهن من بينها الوضع الثقافي، و الذي تبين أنه منخفض جدا، هذا ما يجعلهن يمتثلن لأي خطاب كان، من بينه الخطاب الديني السلفي الذي استحوذ على العقل و يستحوذ عليه، فيشكل مجموعة المبادئ والقناعات التي تتجلى من خلال تمسلفهن، هذا الأخير و كنتيجة لتخلف ثقافي ينشئ طائفية تتمركز حول ذاتها و تلغي أنماط التدين الأخرى الموجودة بالمجتمع، هذا من جهة، من جهة أخرى فان الانتماء إلى وضع اقتصادي معين يتجلى في الطبقة و نمط العيش القريب من الفقر عموما، و في تلك الأحياء الشعبية التي تنعت أحيانا بأوصاف غير لائقة كنتيجة لضمها بعض الشرائح الاجتماعية المنحرفة، حتى داخل أسرهن، هذا ما جعلهن يتذمرن ويسخطن على تلك المظاهر، و على هذا الوضع و لو بطريقة لا واعية أحيانا، من خلال التمسلف.

أما الوضع الاجتماعي و الذي يتداخل بدوره بالأوضاع الأخرى كعملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة وفق ثقافتها و ثقافة المجتمع الكلي ووضعية المرأة كمتزوجة أو لا... الخ ، فهو وضع أدى بدوره إلى تمسلفهن.

فالفرد و إن كان محاطا بمجموعة من الظروف و العوامل الاجتماعية التي أوضحناها ببحثنا إلا أنه يبحث عن اعتراف المجتمع من خلال بحثه في تحقيق مكانة و تقدير و قيمة اجتماعية، لكن لا الوضع الثقافي و لا الاقتصادي ولا الاجتماعي يسمح للمبحوثات بذلك، و بالتالي لا يبقين دون رد فعل، فهن فاعلات وفقا للبنية المجتمعية التي مازالت الاعتبارات الدينية تلعب فيها دور الحافظ، وبالتالي يتخذ الدين المتجلي بالتمسلف، الذي يعتبرنه الحق و يسقطون بقطيعة ما دونه، كمحاولة تحقيق اعتراف اجتماعي سواء كان ذلك داخل الأسرة أو خارجها و خلق نوع من التميز الذي يمنحه الدين كإشارة على الإيمان.

ومن هنا يمكننا القول أن الفرد و ضمن سياق و بنية اجتماعية معينة و معاش ثقافي و طبقي و اجتماعي، يتشكل لديه وعي وفق ظروفه تلك، هذا الوعي قد يكون طبقيا أو دينيا و لهذا نجد تعدد التيارات الدنية حتى داخل الدين نفسه، ذلك أن الظروف لها وقعها على الأفراد،هذا ما وضحته كذلك عدة دراسات من بينها دراسة « AR CENTERS » عن مختلف الطبقات الاجتماعية حيث حاول فيها إبراز الأحوال الثقافية و الاقتصادية والاجتماعية على تشكيل وعي الأفراد و معتقداتهم.

لكن نحن نرى أن الفرد رغم تلك الأوضاع و الظروف المحيطة به إلا أنه يبقى فاعلا ضمن البنية في بحثه الدائم عن مكانة بداخلها و اعتراف على ضوئها، و الحال نفسها بالنسبة للمبحوثات، و بالتالي يتم رفض نماذج التدين الأخرى لأنها ليست إلا رواسبا من تلك الأوضاع التي لم تعد تلبي متطلباتهن و هو الاعتراف.

لكن يبقى بحثنا ناقصا بمعزل عن السياق السياسي بالمجتمع الجزائري، و بمعزل عن فاعلين آخرين مشكلين للظاهرة، و نقصد بذلك الرجال من جهة، ومن جهة أخرى، أولئك الذين يمثلون المرجعية السلفية بالجزائر، هذا ما يفتح آفاقا لدراسات أخرى تولي الأخذ بعين الاعتبار كل الفاعلين و مشكلي الظاهرة السلفية بالجزائر ضمن البنية الاجتماعية الكلية للمجتمع بما في ذلك التاريخ و السياسة و حتى التحليل النفسي.

الملاحق

دليل المقابلة

السن

الوضعية الشخصية (عزباء،متزوجة،...)

الوضع الثقافي:

- المستوى الدراسي
- لماذا أوقفت الدراسة
- لما لم تحاولي إنهاءها
- نوعية الكتب المطالعة قبل تدينك و بعده
- نوعية الأشرطة أو الأقراص المسموعة قبل تدينك و بعده
- ما هي القنوات الإعلامية المشاهدة قبل تدينك و بعده
- ما رأيك بالقنوات الدينية الأخرى
- هل كنت تحضرين للأيام الدراسية أو الملتقيات العلمية و الدينية قبل التزامك أو بعده
- متى كان ذلك

الوضع الاقتصادي الطبقي:

- أين تسكنين
- متى سكنتم به
- ما رأيك بحيكم
- ما هي نوعية سكنكم (إيجار ملك خاص، غير ذلك)
- ما هي وضعيته (ضيق، واسع،...)
- هل تزاولين عملا ما بأجر
- ما نوعه
- ما قيمة الدخل بالنسبة لك
- لماذا لا تعملين (تعملين)
- من يقوم باعالتك
- ما هي طبيعة عمل المعيل

- هل هناك تأمين
- ما قيمة دخله بالنسبة لكم
- كيف تقيمين وضعكم المعيشي و الاقتصادي

الوضع الاجتماعي

- أصول الأسرة
- عدد الأفراد
- من المسؤول عنها ومن يترأسها
- هل يتحكم بك حسب رأيك
- طبيعة أسرتكم بالنسبة لك هل هي متدينة، تقليدية،...
- من قام و يقوم بتنشئة أفراد أسرتكم؟
- كيف هي برأيك؟
- كيف هي طبيعة علاقتك به و بأفراد أسرتك؟
- هل هناك مشاكل بالأسرة؟
- هل التزمت بعد الزواج أم قبله أو...
- هل زوجك ملتزم ؟
- كيف هي علاقتك بزوجك و أهل زوجك؟
- هل يتحكمون بك،هل هناك مشاكل أو خلافات؟
- متى وضعت الحجاب،الجلباب؟
- لماذا وضعته؟
- ما رأيك بالألبسة الأخرى؟
- متى و كيف التزمت و من أقنعك؟
- ما الفرق بين قبل و بعد الالتزام؟
- هل تغيرت علاقاتك بالآخرين و بالأسرة بعد التزامك؟
- كيف أصبحت؟
- لماذا باعتقادك تغيرت؟
- هل كونت علاقات بعد الالتزام؟

- من هن؟
- كيف يكون لقاؤك بهن؟
- ما رأيك بهن و كيف تشعرين و أنت معهن؟

شبكة الملاحظة

العناصر الملاحظة		
الجانب الثقافي	**الجانب الاقتصادي**	**الجانب الاجتماعي**
- نوعية الكتب والأشرطة التي يتداولنها فيما بينهن. - بعض سلوكات وردود أفعالهن بما يخص الخطابات الدينية الأخرى، ومواقفهن تجاه الأخريات اللواتي تختلفن عنهن - ملاحظة سلوكاتهن أثناء التجمعات والحلقات الدينية	- المناطق والأحياء السكنية التي ينتمين لها. - شكل البنايات و وضعية سكنهن.	- أنماط السلوكات والممارسات ان كانت تقليدية أو دينية ...الخ - سلوك بعضهن قبل الزواج و بعده، قبل المسلف وبعده بالنسبة لبعض المبحوثات - نمط الحجاب - نمط العلاقات بين أفراد بعض المبحوثات

المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم

المراجع باللغة العربية:

1- أبو القاسم سعد الله،أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط2،ج 4، :دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان، 2005

2- أوليفيي روا، الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة، ترجمة صالح الأشمر،دار الساقي ، الطبعة الأولى،2012

3- انتوني غيدنز، الرأسمالية و النظرية الاجتماعية الحديثة، ترجمة فاضل جنكر، دار الكتاب العربي، لبنان 2005

4- انتوني غيدنز، الرأسمالية و النظرية الاجتماعية الحديثة، ترجمة فاضل جنكر ، دار الكتاب العربي، لبنان 2009

5- برهان غليون، نقد السياسة – الدولة و الدين – الدار البيضاء (المغرب) وبيروت (لبنان) الطبعة الثالثة،2004

6- برهان غليون و سمير أمين، حوار الدولة و الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت الطبعة الأولى،1996

7- بوعلي ياسين، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة ،دار الطليعة الجديدة ، دمشق سوريا ، الط 1998،1

8- تركي علي الربيعو،الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر ، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء(المغرب)و بيروت (لبنان) الطبعة الأولى 2006

9- حسن حنفي ،الدين و الثقافة والسياسة في المجتمع العربي .دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع القاهرة 1998

10- حسن سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2005

11- حسين عبد الحميد رشوان ، علم اجتماع المرأة ، المكتب الجامعي الحديث مصر 1998

12- جيزيل حليمي ،النساء نصف العالم ، نصف الحكم ، ترجمة عبد الوهاب ترو ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى،1996

13- دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية . مركز دراسات الوحدة العربية . لبنان . الطبعة الأولى.2007

14- رجاء بن سلامة، نقد الثوابت ، آراء في العنف و التمييز و المصادرة ، دار الطليعة بيروت الطبعة الأولى

15- سالم البهنساوي، مكانة المرأة في الإسلام و القوانين العالمية ، دار القلم الكويت الط2 ،1986

16- سامية حسن الساعاتي،علم اجتماع المرأة،دار الفكر العربي،القاهرة، مصر، الط الأولى،1999ص221

17- سامي زبيدة ،أنثروبولوجيا الإسلام – مناقشة و نقد لأفكار ارنست غيلنر – دار الساقي، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى 1997

18- سمير عبده، المرأة العربية، بين التخلف و التحرر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1980

19- صالح بلحاج ، تاريخ الثورة الجزائرية ، دار الكتاب الجديد ، الجزائر،2008

20- -طه نجم ،علم اجتماع المعرفة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر2004

21- كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت لبنان ،الطبعة الأولى،2010

22- كمال عبد اللطيف، أسئلة النهضة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى بيروت لبنان 2003

23- محمد أركون، الفكر الإسلامي – قراءة علمية –ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، المغرب و لبنان ، الطبعة الثانية ،1996

24- مجموعة مؤلفين ، الإسلام و السياسة ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1995

25- مجموعة مؤلفين، إشراف عبد القادر جغلول، المرأة الجزائرية، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ،

26- محمد سبيلا و عبد السلام بنعبد العالي، إعداد و ترجمة، الايديولوجيا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب ، الطبعة الثانية، 20061983.

27- مختاري،سيرة مجاهدة،الجزائر:منشورات وزارة المجاهد يدين، 2005

28- مارسيا الياد ، الحنين الى الاصول ، ترجمة حسن قبسي .دار قابس للطباعة والنشر لبنان بيروت ط1 1994.

29- ميشيل توميستون ومجموعة كتاب. نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي. المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب. الكويت

30- مصطفى النشار، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون، دار قباء للطباعة والنشر، والتوزيع، القاهرة، مصر.

31- عصمة الدين كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، نشر الشركة التونسية للتوزيع.

32- عبد الأمير منصور الجمري ، المرأة في ظل الإسلام ، ط4 ، دار مكتبة الهلال بيروت لبنان.

33- عبد العزيز خواجة ،مبادئ في التنشئة الاجتماعية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2005.

34- عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، الفرق بين الفرق ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية ،القاهرة ، مصر.

35- عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، التبرج و خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، مكتبة المعارف ، الرياض السعودية ، 1986

36- عبد العزيز ابن باز و آخرون ، 500 جواب في العقائد ، دار ابن حزم للطباعة و النشر، القاهرة الطبعة 1، 2009.

37- علياء شكري و آخرون. المرأة والمجتمع ، دار المعرفة الجامعية . القاهرة 1998.

38- هاني الرضا وآخرون، الرأي العام والإعلام والدعاية، الموسوعة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع الطبعة الأولى لبنان 1998.

39- هشام جعيط، أزمة الثقافة الاسلامية. المركز الثقافي العربي، الط الأولى ،بيروت لبنان

المراجع باللغة الفرنسية:

1- ADDI LAHOUARI , les mutation de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine , édition la découverte , Paris 1999

2- AISSA KHELADI, les islamistes algériens face au pouvoir, édition alpha. Alger.1éretrimestre 1992.

3- CLAUDE DUBAR, La Crise Des Identités, L'interprétation D'une Mutation, Édition, Puf,3ieme édition, Paris,2007

4- GHITA KHAYAT, Le monde arabe au féminin, édition L'hamattan , 2ieme édition paris 1998.

5- JEAN PAUL WILLAIME, Sociologie des religions.3ieme édition .Puf .france2005

6- JULIETTE MINCES, la femme voilée ; Édition Calman- Levy Paris 1990

7- MARC FERRO, Le choc de l'islam , édition odil Jacob. France 2003

8- MICHEL REBER, Petite sociologie de l'islam. Édition Milan France 2005

9- SAMIR AMGHAR et autres, coordonné par Laurent Testot et Jean-François Dortier , La religion, Édition Sciences Humaines ,France 2005

10- SOPHIE BESSI, Les arabes , les femmes, la liberté, Édition Albein Michel , 2007. France

11- ANNE-MARIE DELCAMBRE ; L'islam, Editions La Découvert, Paris, France ,1991

Revue et Colloque

Diane SAMBRON, La politique d'émancipation du gouvernement Français à l'égard des femmes algériennes pendant la guerre d'Algérie, in: Jean-Charles JAUFFERT, Des hommes et des femmes en guerre d'Algérie, Actes du Colloque international des 7et 8 octobre2002 , Paris: Édition Autrement ,2003 .

الفهرس

مقدمة 1

أسباب اختيار الموضوع 4

الهدف من الدراسة 5

صعوبات البحث 5

الفصل الأول: المقاربة النظرية والمنهجية 6

الدراسات السابقة 7

1- دراسة عبد الحكيم أبو اللوز 7

2- دراسة سمير أمغار 8

3- دراسة آر سنترز Centers " 9

4- دراسة أخرى 10

الإشكالية 11

الفرضية 12

الإطار النظري 13

العينة 13

المنهج 14

التقنيات المستعملة 14

1- المقابلة 14

2- الملاحظة 14

تحديد المفاهيم الاجرائية 15

السلفية 15

التمسلف 15

الوضع الثقافي 15

الوضع الاقتصادي 16
الوضع الاجتماعي 16
الفصل الثاني: الدين و المرأة 17
الظاهرة الدينية في بعض المقاربات 18
الإسلام دين، هوية ثقافية، وإيديولوجيات 22
بعض أنماط التدين بالمجتمع الجزائري 24
1. التدين الشعبي 24
2. التدين الرسمي 25
3. السلفية 26
نبذة تاريخية عن وضعية المرأة في بعض المجتمعات 34
3. المرأة و الغطاء (الحجاب) بين السياق التاريخي و السوسيوثقافي 41
الفصل الثالث: المقاربة الميدانية 44
ميدان الدراسة 45
تمهيد 45
الوضعية الثقافية للمبحوثات – المستوى الثقافي 46
المستوى الثقافي للمبحوثات و التمسلف 52
الوضعية الاقتصادية أو الطبقية للمبحوثات 59
الوضعية الاقتصادية – الطبقية للمبحوثات و التمسلف 64
الوضع الاجتماعي و التمسلف 70
الخاتمة 81
الملاحق 85
دليل المقابلة 86
شبكة الملاحظة 89
المصادر والمراجع 90
الفهرس 95

ملخص:

هذا البحث يعالج ظاهرة تمسلف النساء من خلال ربطها بأوضاعهن الثقافية، الاقتصادية و الاجتماعية.

مبرزين أهمية العنصر الاجتماعي في عملية تكوين الوعي و القناعات عند الأفراد من بينهم النساء، بعيد عن دراسة النصوص و المرجعية السلفية.

الكلمات المفتاحية:

السلفية ، التمسلف ، الوضع الثقافي ، الوضع الاقتصادي، الوضع الاجتماعي

Résumé :

Cette recherche traite la salafisation des femmes à travers ses conditions culturelles, économiques et sociales.

En mettant en évidence l'importance de l'élément social dans la formation de la conscience et des convictions chez les individus y compris les femmes, loin de l'étude des textes et de référence intellectuelle du salafisme.

Les mots clés :

Salafisme , salafisation, condition culturelle, condition économique , condition sociale.

Abstract:

This study treats the salafisation of women through their cultural, economic and social conditions.

Without study of text and salafism r esort, also, show the important of the social in the composition of the individual's conscience specially women

Key words :

Salafisme , salafisation, cultural condition , economic condition, social condition.